

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

المسار: تاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ وحضارة المغرب

الإسلامي الموسومة بـ:

التصوف والمتصوفة من خلال كتاب المقصد الشريف للبادسي

إعداد الطلبة:

❖ طبي صالح

❖ شبيش عبد الحق.

إشراف الأستاذ:

✓ أ. بوخلوة حسين.

أعضاء اللجنة:

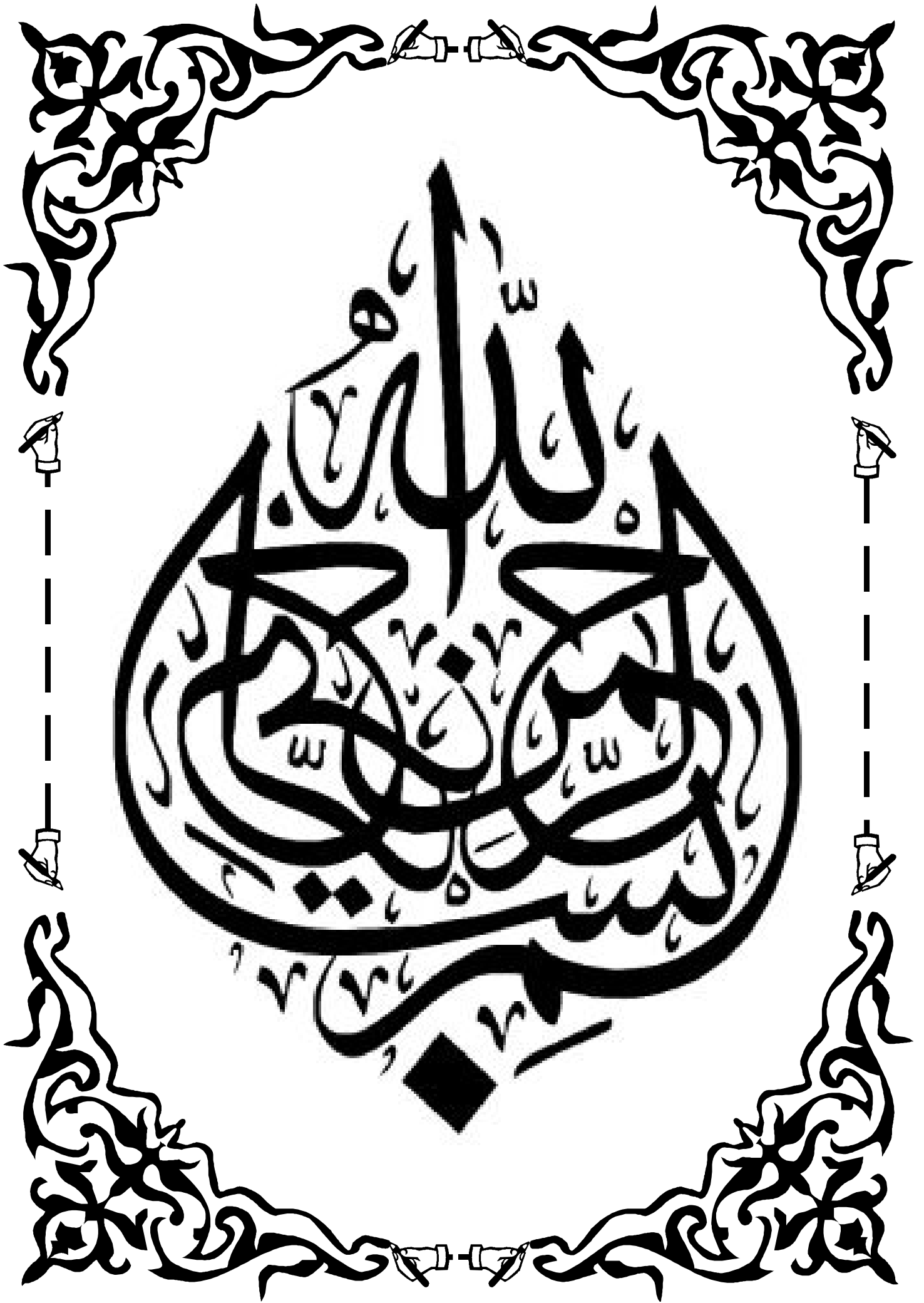
أ. تريكي فتيحة.....رئيسا.

أ. بوخلوة حسين.....مشرفا ومقرارا.

أ. طويلب عبد القادر.....مناقشا.

السنة الجامعية

1438-1439هـ / 2017-2018م



شكر و عرفان

أشكر الله تعالى الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام وبأن أرشدنا لطريق الهداية ودلنا على طريق العلم وما التوفيق إلا منه سبحانه وتعالى.

أشكر الأستاذ بوخلوة حسين الذي وافق بأن يشرف علينا وأن يقدم لنا يد العون ولما أبداه من سعة صدر اتجاهنا، كما أشكر أعضاء اللجنة الأستاذ طويلب عبد القادر والأستاذة تريكي فتيحة لقبولها مناقشة وتقييم المذكرة فلها جزيل الشكر مني لأتني درست عندهما وأشكر كل أساتذة جامعة ابن خلدون الذين ساهموا بتكوينني في مرحلة الماجستير.

كما أشكر جميع أساتذة جامعة بسكرة الذين درست عندهم في مرحلة الليسانس وأخص بالذكر الأستاذ علي زيان وميسوم بلقاسم فهما بمثابة القدوة لي في التعليم .

كما أشكر جميع أساتذة الطور الابتدائي والمتوسط والثانوي الذين بدونهم لم تكن في هذه المرحلة. كما أشكر الأستاذ بونابي طاهر وبولطيف لخضر من جامعة المسيلة والأستاذ سعدي شخوم من جامعة سيدي بلعباس والأستاذة بن خيرة رقية من جامعة معسكر.

كما لا أنسى أساتذة التواصل الاجتماعي داخل وخارج الجزائر .

كما أشكر زميلي في عمل هذا البحث عبد الحق شبيشب والصدیق بمثابة الأخ بوزويرة ميمون وبوبكر خليل وإلى صديق الغرفة رايح، والأصدقاء حميد، ياسين، ساعد، وكل الزملاء جامعة بسكرة دون استثناء. ولكل من ساهم بالقليل والكثير في إنجاز المذكرة.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى تلك التي منحتني الحب والاهتمام وسهرت على تربيته أمي الغالية حفظها الله تعالى.

كما أهدي تحياتي للذي سطر لي طريق النجاح ووقف إلى جانبي في كل حاجتي إليه أبي العزيز حفظه الله تعالى.

كما أهدي تحياتي لأخوتي دون استثناء الكاملة، فتيحة، أحمد، آسيا، سليمان، فؤاد، فاطمة، فارس، وابن أختي بدر الدين، وأخته حنين، ولكل براءة العائلة، ولكل من هو من أسرة طربي وسواس.

كما أهدي تحياتي لكل من أرادني سائرا في طريق النجاح.

صالح

إهداء

اهدي ثمرة جهدي أولاً وقبل كل شيء إلى من أوصانا الله بهما في قوله تعالى
(ووصينا الإنسان بالوالدين إحساناً) إلى أبي وأمي أطال الله في عمرهما وأدامهما الله
منارة فوق رأسي.

الى روح جدي وجدتي الطاهرين، رحمهما الله واسكنهما فسيح جنانه .
والى شخصين عزيزين على قلبي وكان خير عون في مساري الدراسي الجامعي وهم:
أخي قادة وأخي الآخر الذي لم تلده لي أمي وهو صديقي المقرب عطاء الله إدريس.

عبد الحق

قالوا انما نحن بشر
كالبشر الا نحن نؤمن
بالانبياء والكتب
التي انزلنا عليهم

قائمة المختصرات :

هجري	ه
دون دارالنشر	د.د.ن
دون طبعة	د ط
دون تاريخ	د.ت
طبعة	ط
من الصفحة كذا إلى الصفحة كذا	ص - ص
ميلادي	م
مجلد	ميج
تحقيق	تج
تعليق	تج
تحقيق	تج
توفي	ت
ترجمة	تر
قرن	ق
P	page

مقدمه

مقدمة

شهدت جغرافية المغرب الإسلامي عبر التاريخ انتشارا واسعا ومتعددا للمذاهب والأفكار الصحيحة منها والباطلة خاصة تلك التي كان منبتها بلاد المشرق الإسلامي والتي وجدت ضالتها في هذه الرقعة الجغرافية واضحة المعالم لكي تتجذر تدريجيا مع مرور الوقت ولعل من أبرز ما ظهر وانتشر فيها ما يسمى بالتصوف والذي تغلغل بشكر كبير بحكم أنه وجد تركيبة المجتمع التي انطوت على الذات والابتعاد عن الدنيا فكان من أهم المظاهر التي اصطبغت بها الحياة الروحية الإسلامية.

ويعتبر التصوف موضوع كبير لا يقع تحت حصر بحيث كان ولا يزال محل إشكال للعديد من المؤرخين له أو معتنقيه والذي يمثل عند بعضهم فكرة ومنهم من اعتبره مبدأ في حياته بل وأبعد من ذلك فهنالك من اتخذه كمذهب ولقد ظهر التصوف كمنهج في الحياة بشكل ملفت للانتباه في بلاد المغرب الأقصى مما جعل المؤرخين يحملون على عاتقهم مسؤولية تدوين أحداثه و مجرياته من خلال ترجمة أهل التصوف فيما يعرف باسم كتب المناقب.

ولقد كان التميمي في كتابه المستفاد وابن الزيات في التشوف خير دليل على صحة ما نقوله بحيث ترجموا لمتصوفة المغرب الأقصى في حدود جغرافية متمثلة في متصوفة فاس بالنسبة للتميمي ومراكش وأغمات لابن الزيات في حين اغفلوا عن باقي المناطق الأخرى ومن بين المناطق التي تم إهمالها ما تعرف ببلاد الريف والتي احتوت في جعبتها العديد من أهل الصلاح مما جعل ابن المنطقة عبد الحق البادسي مولدا ومنشأ يبادر في استكمال ما سبقه إليه سلفه من المؤرخين فكان له ما أراد عندما ألف كتابه الموسوم بالمقصد الشريف والمترع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف والذي يترجم للمتصوفة التي تتزامن مع فترة أفول نجم الدولة الموحدية وبزوغ نجم الدولة المرينية الناشئة التي سترت الحكم في المغرب الأقصى ونظرا للأهمية التي يحتويها كتاب البادسي زيادة على الفترة الزمنية المشار إليها بادرنا فكرة معالجة الموضوع الخاص ببحثنا والذي جاء تحت عنوان: التصوف

والتصوفة من خلال كتاب البادسي، وفكرة دراستنا لهذا الموضوع استندت على أسباب تتمحور كالتالي:

- عدم وجود دراسات سابقة مثيلة لموضوع بحثنا حسب علمنا.
- الرغبة في إثراء الرصيد المعرفي في مجال التصوف.
- أهمية بلاد الريف في تاريخ المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأقصى خصوصا.
- محاولة التعرف على متصوفة بلاد ومكانتهم في مجالات الحياة.
- صغر حجم الكتاب الذي يجعلنا ندرسه دراسة متأنية .
- دراسة كتاب البادسي من أجل التعرف على موضوعيته في نقل الأحداث مقارنة مع كتب التصوف الأخرى.
- محاولة دراسة موضوع مقيد بكتاب من أجل الكشف على مميزات هذا النوع من البحث وانطلاقا من أسباب الدراسة المذكورة نطرح أشكالنا العام: ما مدى مساهمة كتاب البادسي في محاكاة التصوف والمتصوفة في بلاد الريف؟.
- ولقد تفرع عن الإشكال العام عدة تساؤلات فرعية كانت كالاتي :
- من هو البادسي؟ وماهي مميزات عصره الذي عاش أحداثه؟
- كيف تطرق البادسي لموضوع التصوف ؟ وما هي التعريفات الخاصة بالمصطلحات الصوفية الواردة في الكتاب ؟
- فيما تمثلت الأدوار السياسية والاجتماعية والفكرية للمتصوفة؟
- وللإجابة على الإشكال العام وتساؤلاته الفرعية قمنا بتقسيم البحث وفق خطة من شأنها أن تلم بالمعلومات التي تحصلنا عليها في إطار البحث وتمثل تقسيمنا للبحث إلى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة.

تحدثنا في المقدمة إلى تمهيد بموضوع البحث مبينين أهميته والأسباب التي ساقطنا إلى اختياره، ثم طرحنا الإشكال العام والأسئلة الجزئية والمنهج المتبع ونبذة مصغرة على أهم المصادر والمراجع

المعتمد عليها في إثراء المعلومات الخاصة بالبحث ثم ختمنا بالصعوبات التي اعترت طريقنا في البحث .

ولقد خصصنا للفصل الأول عنوان التعريف بالبادسي والعصر الذي عاش فيه والذي قسمناه إلى مبحثين كان عنوان المبحث التعريف بالبادسي والذي تناولنا فيه شخصية البادسي من الاسم والمولد والنسب وحياته العلمية، ثم تطرقنا في المبحث الثاني عن عصره الذي عاش أحداثه ولقد ذكرنا فيه أهم الأحداث في الجانب السياسي وكيف كان الوضع الاقتصادي بمختلف جوانبه من زراعة وصناعة وتجارة، كما خلصنا في الأخير للحديث عن الجانب الفكري وأهم ما يميزه من تأليف.

ثم تطرقنا في الفصل الثاني الذي اخترنا له عنوان التصوف ومصطلحاته من خلال كتاب البادسي، الذي يتفرع إلى مبحثين، فعمدنا في المبحث الأول إلى دراسة كتاب البادسي دراسة وصفية للكتاب ودراسة مضمونه والتعرف على منهج المؤلف والقيمة العلمية للكتاب، ثم تناولنا في المبحث الثاني موضوع التصوف من خلال كتاب البادسي، زيادة على شرح المصطلحات الصوفية الواردة في الكتاب معتمدين في ذلك على كبريات كتب المعاجم.

وفيما يخص الفصل الثالث والذي كان عنوانه علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري والذي قسمناه كسابقه إلى مبحثين فتحدثنا في المبحث الأول عن علاقة المتصوفة بالسلطة ومع ولاة الدولة المرينية بالإضافة إلى دورهم الجهادي ضد خطر النصارى، وفيما يخص المبحث الثاني والذي عالج الدور الاجتماعي الذي قدمه المتصوفة لشرائح المجتمع، دون أن نتناسى الجانب الفكري الذي سعى المتصوفة لتحقيقه والذي يشمل تأليفهم للكتب وتعليمهم للصبيان وتربيتهم للمريدين.

ولقد اتبعنا في هذا المبحث على المنهج التاريخي لجمع المعلومات الخاصة بالأحداث التاريخية التي تخدم الموضوع، كما اتبعنا المنهج الوصفي والذي ساعدنا في عملية وصف المنشآت العمرانية من زوايا ومساجد ومدارس، وكذلك في وصف الكتاب المدرس من الناحية الشكلية، ولأهمية

المنهج المقارن الذي اتبعناه خصوصا في مقارنة بعض المصطلحات ذات التعاريف المختلفة من كتاب لآخر، وكذا مقارنة الأحداث التاريخية من زمن لآخر، كما قمنا بإتباع المنهج التحليلي والذي كان ركيزة هامة في دراستنا وذلك في تحليل نصوص البادسي من خلال قراءتنا الباطنية لها وعلى ما توحى إليه.

وكان تدعيم بحثنا بملاحق تعالج الموضوع في بعض جوانبه، وكانت الخاتمة عبارة عن مجموعة من الاستنتاجات ساهمت في الإجابة على الإشكال العام والتساؤلات الجزئية.

ولقد تم الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع أفادتنا في إنجاز البحث والتي تتفاوت قيمتها العلمية بما تحتويه من معلومات وكانت متنوعة من كتب تاريخية وجغرافية وكتب التراجم والمعاجم ومن أهم هذه الكتب نذكر:

كتب التراجم:

- كتاب المقصد الشريف والمترع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، لصاحبه عبد الحق بن إسماعيل البادسي الذي كان حيا سنة 722هـ، وحققه سعيد اعراب، والذي يعتبر موضوع دراستنا، والذي استفدنا منه بشكل كبير في إثراء المعلومات، خاصة فيما يتعلق بالدور الذي قام به المتصوفة على الصعيد الاجتماعي من خلال كراماتهم، كما أفادنا في دورهم في الجانب الفكري من تعليم وتأليف، زد على ذلك ترجمة المتصوفة المذكورين في كتابه والذي بلغ عددهم ستة وأربعون ترجمة، كما لا ننسى أهميتهم في ترجمة بعض المصطلحات الصوفية الواردة فيه.

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لمؤلفه أحمد بابا التنبكتي (963/1036م)، والكتاب يظم في ثناياه تراجم العلماء والفقهاء المالكيين والذي وصل عددهم لأكثر من ثمانمائة ترجمة، وساعدنا في التعريف ببعض الشخصيات التي قامت بتدريس عبد الحق البادسي، بالإضافة إلى مساهمتها في إثراء الحياة العلمية في الدولة.

كتب التاريخ:

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، لمؤلفه علي بن أبي زرع الفاسي ويتضمن الكتاب تاريخ المغرب الأقصى في الفترة (145-724هـ)، الذي يعالج فترة المغرب الأقصى عموما ومدينة فاس خصوصا ويظهر جليا من خلال عنوانه، ولقد أفادنا في التاريخ السياسي للدولة المرينية في عهد السلطان أبو يوسف يعقوب المنصور وسياسته المنتهجة في الدولة .

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ والعرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، للعلامة عبد الرحمان ابن خلدون، (ت808هـ/1406م)، ويعتبر من كبريات الكتب الخاصة بالتاريخ، ولقد احتوى على أحداث هامة عن دولة بني مرين ولقد اعتمدنا بشكل خاص على جزئيه السادس والسابع، من أجل الاعتماد على القبائل العربية والبربرية، وذلك عندما تحدثنا عن الجانب الاجتماعي لعصر البادسي المتزامن مع آخر فترة للموحدين وبداية المرينين.

كتب الجغرافيا:

- معجم البلدان، لصاحبة شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، وكان اعتمادنا عليه في جزئيه الأول والخامس، من أجل التعريف بمدن المغرب الأقصى، من أجل الكشف على أصل التسميه والموقع الجغرافي وما تتميز به من بعض المقومات الاقتصادية.

- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، لمؤلفه أبي عبيد البكري المتوفي سنة 487هـ، والذي هو جزء من كتاب المسالك والممالك، والذي أفادنا في وصف بعض مدن المغرب الأقصى بالإضافة لما تزدهر به من صناعة وتجارة وزراعة .

كتب المعاجم:

- الوقوف على مهمات التعاريف، للمؤلف عبد الرؤوف بن المناوي (ت952-1031هـ)، والذي يعتبر ذا أهمية كبير في التعريف بالمصطلحات الصوفية، ولقد أفادنا بشكل واسع توفره على أغلب

المصطلحات الصوفية والتي سعينا للتعريف بها، كما أنه يتميز بشرحها بسهولة مقارنة بالمعاجم الأخرى.

-الرسالة القشيرية في علم التصوف، لصحابها أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، والذي كان من أهل اللغة والشعر والتصوف، والرسالة القشيرية وجهها القشيري للذين قامو بمعاداة التصوف وطريقته دون معرفة مسبقة بحقيقة أصول الطريقة الصوفية، كما أنها موجهة لأهل التصوف يبين لهم حقيقة الطريقة وما دخل أليها من انحراف وأباطيل، ولقد أفادنا في شرح بعض المصطلحات الصوفية التي وردت في كتاب البادسي.

الكتب المعربة:

- فاس في عصر بني مرين، للمستشرق روجي لوتورنو، وقام بترجمة الكتاب نيقولا زيادة، وهذا الكتاب يعالج مدينة فاس وتاريخ بنائها ونشاطها الاقتصادي والحياة الفكرية للمدينة في الفترة المرينية، وأخذنا منه ما يفيدنا بشأن الصناعة التي اشتهرت بها المدينة.

المراجع:

-ورقات في حضارة المرينين، لمؤلفه محمد المنوني، استخرجنا منه ما نحتاجه من جوانب تخص الوضع الاقتصادي من تجارة سواء كانت داخلية أو خارجية بالإضافة إلى جانب الحياة العلمية من علوم نقلية وعقلية التي كانت منتشرة في الفترة المدروسة.

-تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، من تأليف محمد عيسى الحريري، ويحتوي هذا الكتاب على إمام واسع بتاريخ الدولة المرينية إذ يضم ستة فصول، وأفادنا هذا الكتاب بخصوص الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي كانت سائدة في الفترة (650-722هـ) من الحكم المريني، كما أفادنا في التعرف عن العلاقات الدولة المرينية مع المملكة النصرية.

وكأي بحث لا يخلو من صعوبات في عملية البحث فلقد واجهتنا عراقيل في إنجاز هذا البحث

متمثلة كالتالي:

-قلة المصادر التي تترجم عن حياة البادسي.

- صعوبة اقتناء بعض المصادر والمراجع الورقية النادرة .
- ضيق المجال الجغرافي المدروس المحصور في بلاد الريف.
- قصر الفترة الزمنية المترجم لصلحتها الممتدة من فترة أبي مدين شعيب إلى غاية تأليف الكتاب.
- ندرة المصادر المتأخرة التي أخذت عن البادسي أو إضافة لما ذكره.
- صعوبة تحليل معلومات الرواية الشفوية والتي كثيرا ما تتميز بطابع الذاتية.
- صعوبة العمل بالمصادر الأجنبية بسبب عدم إتقان اللغة الأجنبية أو عدم حصولنا على بعضها .
- قصر المدد الزمنية الخاصة بالبحث حالت دون إنجاز بحث في تطلعنا المرغوب فيه.
- البعد عن المنطقة الجغرافية المدروسة كان سببا في عدم اقتناء بعض المخطوطات الخاصة بموضوع البحث والتي ما زالت قيد التحقيق.
- ونتمنى في الأخير أن نكون قد منّا بحثا يكون بمثابة دراسة جديدة ومهمة تساهم في عملية الإثراء العلمي لمكتبة الجامعة والتي تساهم بدورها في فتح المجال و محاولة تكملة ما بدأناه من أجل التوسع في الموضوع .

الفصل الأول: التعريف بالبادسي والعصر الذي عاش فيه.

المبحث الأول التعريف بالبادسي.

المطلب 1: مولده ونسبه.

المطلب 2: مشايخه وتأليفه.

المطلب 3: وفاته.

المبحث الثاني: عصر البادسي الذي عاش فيه.

المطلب 1: الأوضاع السياسية والعسكرية.

المطلب 2: الحياة العلمية.

المطلب 3: الأوضاع الاقتصادية.

المطلب 4: الحياة الاجتماعية.

المبحث الأول: التعريف بالبادسي.

المطلب 1: مولده ونسبه.

هو أبو محمد عبد الحق بن إسماعيل بن أحمد بن محمد بن الخضر بن قيس بن سعد بن عبادة الغرناطي، أما فيما يخص سنة ولادته فنجد ذلك مذكورا في كتابه المقصد الشريف والمترع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف بأنه ولد في سنة 650هـ⁽¹⁾، في حين أهملت بعض المصادر والمراجع سنة ميلاده، وفيما يتعلق بنسبه لمن يرجع فهو من أصل أندلسي من خزرج الأندلس، الذين كان منهم لذلك العهد وما يليه بنو الأحمر ملوك غرناطة بلده⁽²⁾ وأن أحد أجداده بغرناطة انتقل إلى بادس⁽³⁾.

المطلب 2: تأليفه وشيوخه.

أما إذا تكلمنا عن مؤلفاته فالمصادر التي بين أيدينا لا تشير لأكثر من مؤلفين أحدهما ذكره البادسي في مقدمته عندما قال: وسميت هذا الكتاب المرجو من الله حسن المآب ب (المقصد الشريف والمترع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف) والغالب أن تأليفه كان سنة 711هـ⁽⁴⁾، ويذكر مؤلف زهر الآس في بيوتات أهل فاس بأن عنوان الكتاب هو المقصد الشريف

(1) - محمد بن تاويت، الوافي بالأدب العربي في المغرب الاقصى، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1983م، ج2، ص501، ليفي بروفنصال، مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلافي، دار المغرب، الرباط، 1977م، ص153، خير الدين الزركلي، الأعلام، دار الملايين، بيروت لبنان، ط2000، 15م، ج3، ص280.

(2) - عبد الحق بن إسماعيل البادسي، المقصد الشريف والمترع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تح: سعيد اعراب، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، ط2، 1993م، ص 06.

(3) - بادس: بكسر الدال المهمله وسين غير معجمة اسم لموضوعين بادس الزاب وبادس فاس على البحر قرب فاس المقصود هنا بادس فاس. ينظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان 1977م، مج 1، ص 317، الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 2، 1983م، ج 1، ص 325.

(4) - عبد الفتاح الصعيدي، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ج3، ص 344.

والمترع اللطيف في صلحاء الريف⁽¹⁾، هذا الاختلاف الطفيف الذي نلمسه في العنوان وإن كان في زيادة حرف أو نقصانه والمتمثل في حرف من حروف الجر وهو حرف (في) إلا أنه يتوجب علينا ذكر أوجه الاختلاف حسب ما دون في كتب المصادر من أجل تبين رأي كل منهم على حدا ومحاولة منا في تبين الصواب من الخطأ، والأقرب إلى الصواب ما ذكره المؤلف في مقدمته، بالإضافة إلى وجود كتاب آخر من تأليفه عنوانه "طبقات الأولياء"، أشار إليه في ترجمة أبي الحسن المراكشي⁽²⁾.

أخذ البادسي عن والده والذي يقول في وصفه الغني بملاسة الناس عن الاشتهار التالي لكتاب الله عز وجل أثناء الليل وأطراف النهار المجتهد في خلواته جاعل الغفلة عن من أعظم هفواته المصطبر في إقامة العدل في مضمض العدل المستمر على موالاته الجدل والبذل الشيخ إسماعيل الخزرجي⁽³⁾ وجماعة من شيوخ بلده وتردد، على فاس⁽⁴⁾ وسمع من مشايخها ومن أخذ عنهم بها، أبو إبراهيم الأعرج الورياغلي⁽⁵⁾.

ويبدو أن المؤلف كان على حظ من الإنتاج الأدبي، فهو يأتي بنماذج من شعره عقب كل ترجمة من تراجمه، كما أنه في تحليلته النثرية كان على حظ ما من النثر النقي،⁽⁶⁾ ويتأكد لنا هذا

(1) عبد الكبير بن هاشم الكتاني، زهر الآس في بيوتات أهل فاس، تح: علي بن المنتصر الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000 م، ج 1، ص 109.

(2) - البادسي، المصدر السابق، ص 06.

(3) - البادسي، المصدر نفسه، ص 131.

(4) - فاس: مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر وأجمل مدنه. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 4، ص 230.

(5) - أبو إبراهيم الأعرج الورياغلي: الشيخ العلامة الصالح الحافظ الحجّة من قبيلة بني ورياغل وبني فقيدين، وله طرر على المدونة، توفي سنة 683هـ. ينظر: محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس، تح: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، ج 3، د.ت، ص 177، أحمد بن محمد ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمد أبو النور، دار التراث، القاهرة، مصر، د.ت، ج 1، ص 207، أبي عبد الله محمد بن عيشون، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تح: زهراء النظام، منشورات كلية الآداب، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1997م، ص 289.

(6) - محمد بن تاويت، المرجع السابق، ص 501.

الوصف في كتابه بأنه كان عالماً، ومحدثاً مسنداً، ومؤرخاً نسابة يميل في كتاباته إلى السجع، ويتكلف الشعر⁽¹⁾.

المطلب 3: وفاته.

أما فيما يخص تاريخ وفاته فلا يوجد تاريخ محدد يدل على ذلك، باستثناء ما ذكر في كتاب المقصد الشريف بأنه كان حياً سنة 722هـ، بحيث ورد على فاس وسمع من كتابه جملة من شيوخه على غرار عبد المهيمن الحضرمي (الصغير)⁽²⁾، ويحيى بن أبي طالب اللخمي العزفي⁽³⁾. ويذكر ابن سودة في كتابه (دليل مؤرخ المغرب الأقصى) ، بأن وفاته كان في أوائل المائة الثامنة للهجرة مبيناً بأنه كان حياً سنة 722هـ، بمعنى أن وفاته بعد هاته السنة السالف ذكرها⁽⁴⁾. يمكن القول بأن عبد الحق البادسي، لم ينل اهتمام المؤرخين سواء تعلق الأمر بالمصادر المتأخرة أو المراجع، ويمكن تفسير ذلك لكون عبد الحق البادسي لم يبرز كمؤرخ كبير بحيث لم يصلنا سوى كتاب واحد له في تاريخ المغرب الإسلامي، ولكن رغم ذلك أجحف في حقه ، بحيث لم تترجم شخصيته كما ينبغي بالرغم من أهمية كتابه، الذي وصل إلينا والذي كان له دور في تاريخ التصوف عموماً والتصوف في بلاد الريف خصوصاً.

(1) - محمد بن تاويت، المرجع نفسه، ص 501 .

(2) - عبد المهيمن الحضرمي: مولدة 675هـ ووفاته 749هـ، إمام في الحديث واللغة والتاريخ قرأ على أبي جعفر بن الزبير . ينظر: محمد بن محمد بن عمر بن قاسم بن مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تع : عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ج1، ص 317.

(3) - البادسي، المصدر السابق، ص 06.

(4) - عبد السلام بن عبد القادر بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1997م، ص 36 ، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1993م، ج 2 ، ص 57 .

المبحث الثاني: عصر البادسي الذي عاش فيه.

المطلب 1: الأوضاع السياسية والعسكرية.

تميزت الفترة التي عاشها البادسي، من الناحية السياسية بالإضراب والصراع القائم بين الدولة الموحدية، التي كانت تعيش آخر فترة لها و المنشقين عليها في المغرب الأوسط، قد إستقل إستقلالاً تاماً عن الدولة الموحدية، وأصبح تحت حكم الدولة الزيانية التي إتخذت عاصمة لها في تلمسان⁽¹⁾، في حين كان المغرب الأقصى ملجئاً لقبائل بني مرين والتي ستتزعج الحكم من الدولة الموحدية⁽²⁾، أما المغرب الأدنى فقد استفحل أمره وأعلن عصيانه عن الدولة الموحدية، وليس هذا فحسب بل تعدى إلى أكثر من هذا عندما أعلن السلطان الحفصي عبد الله المستنصر نفسه أميراً للمؤمنين سنة 650هـ⁽³⁾، وكان تأكيد ذلك له عندما وصلته بيعة شريف مكة في 657هـ⁽⁴⁾.

وتميزت هذه الفترة بالصراع العسكري بين الدولة الموحدية والمنشقين عليها من بني مرين وبني عبد الواد، بل إلى أبعد من ذلك بحيث كان الصراع بين المنشقين أنفسهم، مثلما حدث بين بني مرين وبني عبد الواد بحيث يقول ابن زرع الفاسي، في كتابه الذخيرة السنية: "فالتقى الجمعان

(1) - تلمسان: هما مدينتان متجاورتان بينهما رمية حجر أحدهما قديمة والأخرى حديثة احتضنها المثلثون واسم القديمة أقادير. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 1 ص 44، مؤلف مجهول كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تع: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، د.ت، ص 176، مارمول كرنجال، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، دار النشر المعرفة، الرباط، المغرب، 1989م، ج 2، ص 291.

(2) - بني مرين: ومهم من قبائل زناتة من ولد مرين بن ورتاجن بن ماحوخ بن وجديج. ينظر: علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1972م، ص 287، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م، ج 7، ص 220، عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، د.د، ن، ط 2، د.ت، ج 1، ص 183.

(3) - أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط 2، 1966م، ص 33.

(4) - أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم ابن أبي دينار القيرواني، المونس في أخبار افريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، ط 1، 1286هـ، ص 128.

بواد تلاغ بالقرب من وادي ملوية، فعلاً كل منهما جيوشه " وانتهت المعركة بغلبة بني مرين وكان ذلك في سنة 666هـ⁽¹⁾.

ولقد ازدادت قوة المرينيين مع مرور الوقت بحيث تمكنوا من السيطرة على مكناس وفاس وتازة⁽²⁾، ثم تمكن المرينيون من إنهاء وجود الدولة الموحدية بعد قتلهم لآخر خلفائها أبي دبوس سنة 668هـ⁽³⁾.

بعد مقتل أبي دبوس وسيطرة أبو يوسف يعقوب على مراكش⁽⁴⁾ والتي تمثل بداية مشروع السيطرة على باقي مدن المغرب الأقصى المتبقية، ففي سنة 669هـ قام بحملة قوية في منطقة درعة التي تحصن العرب ببعض حصونها فأخضعهم يعقوب بطاعة الدولة⁽⁵⁾

اتجهت أنظار أبي يوسف بعد ذلك إلى الاستيلاء على طنجة وسبتة⁽⁶⁾ لما لهما من أهمية كبرى، فقد كانتا أعظم عمالات الموحدين وبهما دور صناعة السفن والآلات الحربية كما أنهما المعبران الرئيسيان إلى بلاد الأندلس، وفي سنة 672هـ قام بحصار طنجة طيلة ثلاثة أشهر حتى استسلم أهل المدينة، لأن أبي يوسف بدأ ينوي دخول المدينة فضايق الحال بأهلها⁽⁷⁾، ثم أرسل ابنه يوسف لحصار

(1) - أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، د.د.ن، د.ط، ص 115.

(2) - جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي، تر: محمود عبد الصمد هيكل، مر: مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة الانتصار، الإسكندرية، مصر، 1991م، ص 118.

(3) - أبو العباس أحمد ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م، ص 468، أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنوية، المصدر السابق، ص 118، أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، د.ت، ج 3، ص 26.

(4) - مراكش: أعظم مدينة بالمغرب وأجلها وبها سرير ملك عبد المؤمن وكان أول من اختطها يوسف بن تاشفين سنة 750هـ . ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 5، ص 94.

(5) - إبراهيم حرقات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 2000م، ج 2، ص 17.

(6) - سبتة: وهي مدينة على ضفة البحر الرومي، وهي مدينة كبيرة مسورة بسور صخر محكم البناء بناه عبد الرحمان الناصر. ينظر: أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ج 2، ص 285.

(7) - عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم، الكويت، ط2، د.ت، ص 40.

لحصار سبتة ،والتي صمدت فعقدت معاهدة صلح بين أبي العباس السبتي ويوسف تتمثل في احتفاظ الأول بحكم سبتة لقاء خراج يؤديه الأول إلى السلطان المريني. (1)

بعد هذه السيطرة التي تمت لأبي يوسف يعقوب لم يبق له سوى سجلماسة والتي كانت تحت قبضة بنو عبد الواد (2)، فتوجه إليها وقام بمحاصرتها والهجوم عليها مستعملا آلات الحصار من الجانيق ، وهدام النفط القاذف بحصى الحديد والبارود ، فبادروا إلى اقتحام البلد فدخلوها عنوة من تلك الفرجة في صفر من سنة ثلاثة وسبعين وستمائة (3)، وبعد سقوط سجلماسة اكتمل للمرنيين السيادة التامة على أراضي المغرب الأقصى (4).

وجه المرينيون أنظارهم صوب الأندلس لمحاربة النصارى ورغبوا في التدخل لصالح المسلمين في الأندلس، وكان هذا لأسباب اقتضتها الحالة السياسية في الأندلس (5).

وكان موقف المرينيين بالأندلس في جملته موقف دفاعي أكثر من هجومي، ولقد كان أول جواز للمرنيين في بلاد الأندلس إثر اتصال وفد ابن الأحمر بأبي يوسف الذي اشترط في مقابل عبوره التنازل عن بعض الحصون كطريف ورندة، ثم جهّز جيشا وعبر للأندلس والتحق بطليعته أبو محمد بن أشقيلولة مع ابن الأحمر وكان تابعا له (6) بمالقة (7) والتقى جيش المسلمين مع جيش النصارى المكون من مملكة قشتالة وليون وانتصر المسلمون، وكانت المعركة في سنة 674هـ ولقد

(1) -مُلهة شهاب أحمد، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009م، ص 149.

(2) - بنو عبد الواد: عرفوا بهذا الاسم نسبة لعابد الوادي عرف بهذا جدهم من ولد شجيج بن واسين بن يصلتين بن مسري بن زكريا بن ورسح بن مادغيس الأتر بن برقيس عيلان. ينظر: أي زكريا يحيى بن أبي بكر محمد بن محمد بن الحسن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، طباعة بيير، فونطانا، الجزائر، 1903م، ص 95.

(3) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 249-250.

(4) - عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 41.

(5) - إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 19.

(6) - إبراهيم حركات، المرجع نفسه، ص 19.

(7) - مالقة: مملكة بين مملكتي اشبيلية وغرناطة على بحر الزقاق وهي كثيرة التين واللوز. ينظر: علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 4، د.ت، ص 422.

كانت المعركة عند أستجة جنوبي قرطبة، وكان قائد النصارى دونونيو ديلارا الذي مات في مجريات المعركة⁽¹⁾.

وقد أصاب المسلمون في هذه الغزوة من الغنائم مالا يحصيه إلا الله ويبيعت الشاة بدرهم واحد وأخذ سبعة آلاف وثمانمائة أسير ولم يكمل هذه الغزوة حتى رجع به العدو، فاكتمح نواحي إشبيلية وأوغل في جهاتها⁽²⁾.

ولقد تم العبور الثاني لأبي يوسف يعقوب للأندلس سنة 676هـ، وترى بعض الروايات أن ذلك كان سنة 677هـ، ووجه حملته هذه المرة إلى إشبيلية ثم توجه لقرطبة وأخضعها⁽³⁾.

ووقعت خلافات بين ألفونسو العاشر وابنه شانجه الرابع وذلك في سنة 681هـ فعبر السلطان المريني إلى الأندلس للمرة الثالثة مستغلا هذه الظروف⁽⁴⁾ ومن هذا التدخل بدأ السلطان المريني في أعمال سلطنة غرناطة وكان ذلك أثر طيب في السلطة، ولكنه كان يشجع على الاضطراب فيها⁽⁵⁾.

بعد وفاة أبو يوسف يعقوب تولى خليفته يوسف الحكم على الدولة المرينية سنة 685هـ⁽⁶⁾، وواجه بعض الفتن والتمردات ضده، ولقد كان محمد بن إدريس يدعوا لنفسه ولكن ولكن أبي يعقوب حاربهم وطاردهم وقتلهم والتحق بجماعة الناجين بغرناطة⁽⁷⁾، وواجه أبو يعقوب ثورة أخرى سنة 687هـ والمتمثلة في ثورة ابنه أبو عامر المشترك في تدبيرها مع محمد بن

(1) - حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد للنشر، عريية للطبع، القاهرة، مصر، 1992م، ص 447.

(2) - دوشاتو بريان، آخر بني سراج، طبعة الميناء، مصر، 1925م، ص 126.

(3) - عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 46.

(4) - خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2000م، ص 296.

(5) - حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996م، ج 2، ص 200.

(6) - أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص 374.

(7) - إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 25.

عطوى عامل مراکش ، هاته الثورة جعلت السلطان المريني يوسف يتأهب لمقاتلته بحيث غزى الأمير يوسف أبو عامر وبنو عطوى إلى بلاد القبلة ومنها إلى تلمسان (1) .

ومن بين الثورات التي عمد يوسف لإخمادها ثورة عمر بن يحيى بن الوزير الوطاسي الذي ثار بحصن تازوطا سنة 691هـ ولقد استطاع السيطرة عليه، في آخر المطاف بعد جهد كبير ثم رجع يوسف إلى فاس سنة 692هـ (2) .

وإذا ما تكلمنا عن سياسة الدولة المرينية مع الدولة الزيانية في هاته الفترة فإنها تميزت بالخلاف السياسي والذي نتج عنه صراع عسكري تمثل في حصار تلمسان من طرف يوسف المريني سنة 698هـ (3)، ودام الحصار ثماني سنوات ويقال بأن عثمان بن يغمراسن توفي خلال الحصار (4) .

تولى الخلافة بعده أبي يعقوب أبو ثابت وكانت فترة حكمه صغيرة (706هـ-708هـ) ، ولقد واجه ثورة ابن أبي عياد واستطاع القضاء عليها وتمت بيعته باعتراف سائر أهل الحل والعقد الذين جمعهم (5) .

تولى السلطان أبو الربيع آخر حكم دولة بني مرين ، والذي كانت فترة حكمه قصيرة مثل أبي ثابت بحيث دامت سنتين (708هـ-710هـ) ، ولقد خرج عليه وزير الوطاسي ورئيس عسكره غنصالو الفرنجي (6) .

(1) - عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 84.

(2) - الناصري، المصدر السابق، ص 96.

(3) - ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، بورسعيد، مصر، 2001م، ص 26.

(4) - مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م، ص 11، محمد بن رمضان بن شاوش، باقة

السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان مطبوعات الجامعية، 2011م، ج 1، ص 70.

(5) - إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 30.

(6) - خير الدين الزركلي، الأعلام، تع: زهير ظاظا، فهرسة محمد وحكيم نزار، دار الأرقم، بيروت، لبنان، د.ت، معج 1، ص

عندما تولى أبو الربيع الحكم كان عمره لا يتجاوز تسع عشرة سنة ويبدو أن بني مرين أجمعوا على بيعته إلا عمه ابن زريقاء الذي أعتقل وسجن بطنجة إلى أن هلك سنة 710هـ، ثم توجه نحو فاس من طنجة التي تمت فيها بيعته وبينما كان في الطريق بلغه أن معسكر ابن أبي العلاء يريد مهاجمته فاستعد لحربه وانهزم عثمان بن أبي العلاء⁽¹⁾.

ويشير ابن خلدون ما فعله أبي الربيع بهم من تنكيل قائلا " وتقبض على ولده وكثير من عساكره وأئمن أولياء السلطان فيهم بالقتل و السبي "⁽²⁾.

تولى السلطان أبي سعيد عثمان الحكم في الدولة المرينية خلفا لأبي الربيع، وكانت مدة حكمه عشرين سنة ونصف سنة، وكان مولده سنة (674هـ)، وتوفي سنة (731هـ) خارج فاس⁽³⁾.

ولقد حرص على مباشرة أحوال الرعية وتوطيد أركان الدولة وبدأ في حركة الإصلاح مع مراعات تقاليد سابقه ورفع المظالم عن الناس، وخفف عنهم، قام بإنشاء الأساطيل بدار صناعة السفن بمدينة سلا لحماية سواحل الدولة⁽⁴⁾.

(1) - إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 31، عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 97.

(2) - عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص 314.

(3) - مؤلف مجهول، الحلل المشوية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار عبد القادر، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1979م، ص ص 178-179، محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988م، ص 525.

(4) - عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 101.

المطلب 2: الحياة العلمية.

لقد كان لسلاطين الدولة المرينية في العصر الأول من الدولة الأثر الكبير في نشر العلوم العقلية منها أو النقلية وهذا راجع إلى تشيد المدارس بحيث بنيت أول مدرسة والتي تعرف بمدرسة المغاربة⁽¹⁾ والتي أمر بنائها أبي يوسف سنة 675هـ⁽²⁾ وقد ألحق في خزانها العلمية المخطوطات المنوعة التي تسلمها من الملك القشتالي سانشو ، بعد معاهدة الصلح التي تمت بينهما سنة 684هـ⁽³⁾.

وهناك مدرسة المدينة البيضاء، أو فاس الجديد وقد صدر أمر أبي سعيد الأول بالشروع في تشييدها عام 720هـ واكتمل بناءها سنة 721هـ⁽⁴⁾ بالإضافة إلى أنه أصدر سنة 723هـ أمرا ببناء المدرسة العظمى بفاس وهي المعروفة بمدرسة العطارين⁽⁵⁾ ونستشهد من كلام السلاوي الذي يوحى باهتمام السلطان بهاته المدرسة بحيث يقول " وحضر السلطان أبو سعيد بنفسه في جماعة من الفقهاء حتى أسست وشرع في بنائها بمحضره "⁽⁶⁾.

ما يفهم جليا من اهتمام المرينين ببناء المدارس هو حبهم للعلم وتشجيعهم لطلبة العلم من أجل تكوين طبقة علمية يكون لها الدور الايجابي على الدولة:

هم الملوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبالسن البنيان
إن البناء إذا تعاضم شأنه أضحى يدل على عظيم الشأن⁽⁷⁾

(1) - عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 78.

(2) - علي الجزائلي، جنى زهرة زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب ط2، 1991م، ص 81.

(3) - محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2000م، ص 240.

(4) - محمد المنوني، المرجع نفسه، ص 240.

(5) - ينظر: الملحق رقم 1.

(6) - الناصري، المصدر السابق، ص 112.

(7) - الناصري، المصدر نفسه، ص 112.

كما استعاد المذهب المالكي مكانته التي كان عليها قبل ظهور دولة الموحدين الذين صادرو معظم الكتب و مؤلفات هذا المذهب وأحرقوها، وكان سلاطين بني مرين أنفسهم يهتمون بفهم هذا المذهب ويظهر جليا اهتمام المرينيين بهذا المذهب في عدد علمائه الكبير⁽¹⁾ أمثال ذلك عبد الرحمان بن عفان الجازولي⁽²⁾ وهذا الأخير كانت تلميذا لعبد الرحمن الرجراحي الفقيه وكان عبد لرحمن الرجراحي فقيها يتكلم على المدونة بفاس وكانت وفاته سنة 718هـ⁽³⁾.

بالإضافة إلى وجود فقهاء آخرين كان لهم مكانة ودور في المذهب المالكي من أمثال ذلك أبي أمية الدلائي⁽⁴⁾ ومن الفقهاء أيضا إسحاق بن مطهر توفي سنة 683هـ ويعرف بالأعرج⁽⁵⁾ ، كما انتشر علم تفسير القرآن في العصر المريني كون القرآن أول مصدر للتشريع الإسلامي ومن بين علماء التفسير في الفترة السالفة الذكر نذكر محمد بن محمد بن علي العابد المعروف بابن البقال وله أجوبة حسنة في التفسير أجاب بها أبي زيد بن العتاب⁽⁶⁾، نظيف أيضا شخصية ابن البناء المراكشي وموضوعاته كثيرة منها تفسير الباء من بسم الله الرحمن الرحيم وجزء صغير على صورتي العصر، وإنا أعطيناك الكوثر وعنوان الدليل من مرسوم خط التزويل وموضوع على الكشاف⁽⁷⁾.

(1) - عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 340.

(2) - عبد الرحمان الجازولي: صاحب تقاليد الرسالة المشهورة، الفقيه، كان علامة في المذهب ورعا صالحا، اخذ أبي الفضل راشد وأبي عمران الجوراني. ينظر: أحمد بابا التنبكي، نيل الانتهاج بتطريز الديقاج، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، د.ت، ج1، ص 244.

(3) - أحمد بابا التنبكي، المصدر نفسه، ص 243.

(4) - أبي زرع الفاسي، الذخيرة المنسية في تاريخ الدولة المرينية، المصدر السابق، ص 162.

(5) - البادسي، المصدر السابق، ص 110.

(6) - أحمد بابا التنبكي، المصدر السابق، ص 386-387.

(7) - أحمد بن القاضي، حذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، المغرب، 1973م، ج1، ص 150.

ونشير أيضا لمفسر استقر بسبته وهو ابن الربيع الاشبيلي ألف "تفسير القرآن الكريم"، كتب منه إلى أواخر سورة المائدة عند الآية 111⁽¹⁾ وهناك مالك بن المرحل المصمودي السبتي ألف "نظم غريب القرآن"⁽²⁾.

ومن المؤلفات التي برزت في تأليف كتب السيرة النبوية "تكملة الدر المنظم في مولد النبي المعظم" لأمير سبته أبي القاسم العزفي المتوفى عام 677هـ⁽³⁾.

أما فيما يخص العلوم العقلية التي انتشرت في الدولة المرينية فهي كثيرة تخصصاتها وعلمائها فمن بين العلوم الطب الذي كان منتشرا بسبب اهتمام المرينين بصحة المواطنين ومن بينهم الأطباء محمد ابن الغليظ الاشبيلي الذي كان طبيا للسلطان أبو يعقوب يوسف⁽⁴⁾.

بالإضافة إلى أحمد بن محمد بن يوسف الجزنائي المعروف باسم ابن شعيب المتوفى سنة 749هـ⁽⁵⁾، ومن علماء الرصد والفلك نجد أبو القاسم بن عزوز الذي كان بفاس سنة 745هـ مؤلف الزيج الموافق⁽⁶⁾.

وبرز في هذا العصر من كان منصرفا إلى الرياضيات و نذكر منهم ابن البناء العددي ذلك الفلكي المشهور والحاسب المعروف، وقد خلف أكثر من مائة كتاب⁽⁷⁾، والحسين بن رشيق الثعالبي اشتهر على هذا العهد بأنه صنع شكلا مستديرا لسفرة الشطرنج 696هـ⁽⁸⁾.

(1) - محمد المنوني، المرجع السابق، ص 265.

(2) - ابن القاضي، جذوة الاقتباس، المصدر السابق، ص 327.

(3) - محمد المنوني، المرجع السابق، ص 291.

(4) - أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص 376.

(5) - عيسى الحريري، المرجع السابق، ص ص 348-349.

(6) - محمد المنوني، المرجع السابق، ص 358.

(7) - عبد الله كنون، المرجع السابق، ص 199.

(8) - عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني، بلغة الأمانة ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته في الدولة المرينية من مدارس وأستاذ

وطبيب، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1984م، ص 146.

ومن مشاهير هذا العصر في الرياضيات العلامة الكبير محمد بن النجار التلمساني درس على يد أبي عبد الله الأبلبي ثم انتقل إلى فاس فاتصل بإمام التعاليم أبي عبد الله بن هلال توفي في 749هـ⁽¹⁾.

المطلب 3: الأوضاع الاقتصادية:

يعتبر الاقتصاد للدولة المرينية صورة واضحة تعكس لنا ما مدى تطورها، بالإضافة إلى نجاح السلاطين من عدمه في دعم هذا المجال ، الذي يساهم في تحسن معيشة الرعية ، فالسلطان المريني أبو يوسف يعقوب ساهم في تحسين التجارة الداخلية وهذا ما نفهمه عندما قام بإلغاء الضرائب والمكوس وفي هذا يقول أبي زرع الفاسي في كتابه الأنيس المطرب " رفع الأنزال عن ديار الرعية وكف أيدي الظلمة والعمال عن الناس وأزال المكوس "⁽²⁾ .

كما حرص سلاطين الدولة المرينية على نشر الأمن ، بعد أن عجز الموحدون في ذلك أواخر حكمهم وحرصوا على تأمين طرق المواصلات بين مدن الدولة ، فاستحدثوا تنظيمات جديدة على طول الطرق التي تربط بين فاس ومراكش وتلمسان وسبتة وسميت التنظيمات بالرتب وهي عبارة عن خيام يسكنها أهل المنطقة وتلزمهم الإدارة المرينية ببيع الشعير والطعام وما يحتاجه المسافرون⁽³⁾ .

تميزت الدولة المرينية بالاهتمام بالمراسي التي من شأنها تحريك التجارة الداخلية ودفعها إلى الأمام ومن بين المراسيم مرسى أنفا ومرسى أصيلا ومرسى طنجة كما تميزت مدينة بادس بتجارة الخشب مع هنين⁽⁴⁾ ويلحق بهذه المراسي مدينة سجلماسة التي يدخل منها التجار إلى بلاد السودان بالملح والنحاس⁽⁵⁾ ويأتون بهاته المواد لتصديرها في الدولة المرينية وكانت قبيلة مسوفة تقوم

(1) - محمد بن أحمد بن شقرون، مظاهر الثقافة المغربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985م، ص 220.

(2) - أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص 375.

(3) - عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 292.

(4) - البادسي، المصدر السابق، ص 74.

(5) - محمد المنوني، المرجع السابق، ص 145.

تقوم باستخراجه من باطن الأرض وخاصة من مدينة تغازي بعد أن نفذ من جزيرة أوليل⁽¹⁾، كما عرفت بلاد الريف تجارة مع الأندلس تتمثل في التين والزيت القادم من إشبيلية⁽²⁾.

لقد اهتم السلاطين المرينيين بالزراعة مما جعلها تزدهر زيادة على أن السكان بدورهم اهتموا بالزراعة كمصدر لكسب قوتهم بالدرجة الأولى فالسلطان أبو يعقوب يوسف قام بإلغاء الضرائب التي كانت مسلطة على الفلاحين مما انعكس بالإيجاب على هذا القطاع⁽³⁾.

ولقد تعدد الإنتاج في الدولة وذلك لتنوع الأراضي الزراعية فمكناس كانت تقع على سهل بديع تنتج السفرجل والرمان⁽⁴⁾ ويشير ابن غازي "صاحب كتاب الروض الهتون" في أخبار مكناسة الزيتون بأنها كانت تحتوي على الزيتون وخير دليل بأنه أسمى كتابه بعنوان يشير فيه للزيتون ويشير لحب الناس للزيتون قائلاً "أكثر غرائسها الزيتون فكان حي الزيتون بحيرة مكناس يباع بخمسة وثلاثين ألفا دينار لعام الحمل"⁽⁵⁾، كما تميزت مدينة سبتة بالطواحين منها طاحونة المسامير⁽⁶⁾.

كما كان هنالك زراعة الكتان بأحواز فاس، وسلا وكان للقطن اهتمام في شأنه بحيث كان يزرع في سلا ويمتد إلى تادلا والاهتمام بهذا النوع من شأنه أن يساعد العامة في تحقيق حاجاتهم من اللباس اعتمادا على الكتان والقطن⁽⁷⁾.

(1) - مزاحم علاوي الشهاري، الحضارة العربية الإسلامية في المغرب العصور المريني، د.د.ن، د.ط، ص 76.

(2) - البادسي، المصدر السابق، ص 106.

(3) - عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد زينهم محمد عزب دار الفرجاني، د.ب.ن، د.ت، ص 297.

(4) - الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 214.

(5) - محمد بن أحمد بن محمد بن محمد ابن غازي العثماني، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، ط 2، 1988م، ص 12.

(6) - محمد بن القاسم الأنصاري السبتي، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الأخبار، تح: عبد الوهاب بن منصور، د.د.ن، الرباط، المغرب، 1983م، ص 43.

(7) - تادلا: يقع سهل تادلا ما بين أطلس بني ملال جنوبا وهضبة الفوسطاط شمالا إذ ينتهي إلى الحوض الخاص بأمر الربيع. ينظر محمد حجي، داي مركز ثقافي في تادلا، تادلا التاريخ المجال الثقافة، الملتقى العلمي لمنطقة تادلا،

15، 16، 17، 19، المغرب، 2017، ص 19.

وكان قصب السكر يزرع في عدة جهات في ناحية سبتة وهو بها ثلاثة أنواع كما يزرع بسوس ونواحي سلا ومراكش بوادي نفيس⁽¹⁾.

ومن المحاصيل الزراعية التي كانت تتوفر في هذه الفترة الفول والقمح والشعير وهي تمثل المحاصيل اللازمة لحياة الأهالي بالإضافة إلا أن المنطقة ملائمة لزراعتها من توفر المياه ووجود ارض خصبة وكانت طنجة مركز القمح بالإضافة إلى شرق أزيللي⁽²⁾.

واشتهرت مدينة الرباط كذلك بالزراعة وذلك لما تميزت به المدينة من نوعية التربة الخصبة التي يتم استغلالها ، وهذا ما نلمسه من نوعية الفواكه التي احتوت عليها هته المدينة ، كما كان اهتمام السلاطين المرينيين بها جعلها من كبريات المدن في هذا المجال⁽³⁾.

كان للصناع من كل فرقة رئيس يختارونه ويكون من بينهم ويسمى الأمين، وتكون له حرية التصرف في مصالح المهنة ولقد كان بسبتة دار الأشراف على البناء والتجارة وما يرجع إليهما⁽⁴⁾.

وكانت الصناعة تحتاج إلى المواد اللازمة لها بحيث كانت كل مدينة تمتاز عن غيرها في الإنتاج الصناعي فمدينة فاس كانت تتوفر على معدن الجبس و الصلصال وأنواع الحجارة والرمال كان سببا في تقدم الصناعة في هاته المدينة⁽⁵⁾ وكذلك الياقوت المستخرج من جبل هزرجة بالقرب بالقرب من أغمات⁽⁶⁾.

(1) - محمد المنوني، المرجع السابق، ص 148-149.

(2) - عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 289.

(3) - محمد بن مصطفى بوجندار الرباطي، الاغتباط بتراجم أعلام الرباط، تح: أحمد بن عبد الكريم نجيب، دار المذهب، المغرب، ط2، 2014، ص108.

(4) - محمد المنوني، المرجع السابق، ص 147.

(5) - علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تح : عبد الوهاب ابن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، المغرب، ط2 ، 1991م ، ص 35.

(6) - أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر ، د.ت ، ص 153.

ومن بين الصناعات التي ازدهرت في العصر المريني صناعة عصر الزيتون لاستخراج زيت الزيتون بمكناسة⁽¹⁾.

كما تواجدت في هاته الفترة صناعة السكر بحيث كان بمراكش أربعون مصنع وذلك لتوفر السكر حتى أنحمل الحمار من هذه القصب كان يباع بدرهم⁽²⁾.

وتميزت فاس بصناعة الثياب وكانت مزدهرة لأن كل ما كان السكان يستهلكونه كان يصنع محليا بإستثناء القليل من الثياب النفيسة التي كانت تستورد من الخارج⁽³⁾.

كما اهتم سلاطين بني مرين اهتماما كبيرا بالصناعات الحربية لحاجتهم إلى الجيوش القوية التي يدافعون بها عن حدودهم ضد الأخطار سواء من الشرق أو مواجهة النصارى، خاصة وان الدولة المرينية كانت في صراع متواصل معهم في الأندلس، من اجل حماية مملكة غرناطة⁽⁴⁾.

وامتازت مياه مدينة سبتة بالمرجان الممتاز ، بحيث كانت تصدره إلى الأندلس والمشرق والهند، لما يتوفر من أموال جراء بيعه، بالإضافة لتوفرها على الأسماك من عدة أنواع حتى أنه يبلغ المئة نوع ، ومن بين الأنواع ما يسمى التسن، ويصطادونه عن طريق الرماح⁽⁵⁾.

(1) - أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنينة، المصدر السابق، ص 162.

(2) - عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 285.

(3) - روجي لو تورنو، فاس في عصر بني مرين، تر: نيقولا زيادة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك،

1967م، ص 132.

(4) - عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 286.

(5) - أمين توفيق الطيبي، دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية ، منشورات الدعوة الإسلامية العالمية ، طبع بدار القلم ، تونس

1989م، ص 51.

المطلب 4: الحياة الاجتماعية.

1. السكان واصل المجتمع:

كان المجتمع في هذا العصر يتكون من ثلاث طبقات، طبقة الأعيان والطبقة الوسطى والطبقة الدنيا ولقد تنوعت عناصر المجتمع المغربي فنذكر منهم:

أ- البربر:

أول أمة عرفت باسم متميز من السكان منذ بدأ تدوين التاريخ⁽¹⁾، ويقول عنهم "ابن خلدون" وهي على كثرتها ترجع إلى أصليين لا تخرج عنهما، وهم الأول البرانس، وهم بنو برنس⁽²⁾ بن بر، والثاني: البتر⁽³⁾ وهم بنو مادغيس بنو بربر⁽⁴⁾.

شكل البربر السواد الأعظم في البناء الاجتماعي للمجتمع المريني، فمن هؤلاء البربر كانت الطبقة الحاكمة التي انتمت إلى إحدى هذه القبائل البربرية⁽⁵⁾، ومن القبائل البربرية في بلاد الريف، بنو جميل، بنو ورياغل، بني يطف، وبقوية⁽⁶⁾.

ب- القبائل العربية:

لما فتح الحسان بن نعمان أفريقية والمغرب كان أكثر جيوشه قبائل قيس العربية⁽⁷⁾، وأيضا زادت الوفود من القبائل العربية لبلاد المغرب الأقصى خلال حكم الدولة الإدريسية لمبايعة إدريس الأول وابنه وخاصة عند بناء مدينة فاس وهذا ما ذكره الدكتور "سعد زغلول" في كتابه (تاريخ

(1) - عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1968م، ج1، ص 261.

(2) - البرانس: هم بدورهم يجمعون بين الحياة الحضرية والحياة التنقل حسب قبائلهم ومواطنهم، فهناك جماعات منهم قطنة السهول وتأثرت بالحضارة الرومانية، وجماعات أخرى عاشت عيشة البداوة كملثمي صنهاجة. ينظر: إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج2، ص 24.

(3) - البتر: هم بنو مدغيس بن بر، ويلقب مدغيس بالأبتر وتعود قبائل البتر كلها إلى أربعة من ولد زحيك وهم: نفوس وأداس وضري ولوا. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 194.

(4) - ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص 117.

(5) - محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 317.

(6) - البادسي، المصدر السابق، ص 124-125.

(7) - أبي زرع الفاسي، الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية، المصدر السابق، ص 123.

المغرب العربي (ج2) بقوله: " سنة 189هـ وفد على إدريس الأصغر جماعات من عرب افريقية و الأندلس من القيسية و الأزد وغيرهم في نحو الخمسمائة رجل " (1).

وبعدها كان مقدم قبائل بني هلال إلى بلاد المغرب بسبب تحريض الوزير الفاطمي اليازوري (2)، وذكر "البادسي في كتابه (المقصد الشريف) أن دخولهم للمغرب الأقصى كان سنة 635هـ وكيف كان لهم الانتشار الواسع وبسط السيطرة على مساحات واسعة (3)، وقد تركزت تركزت هذه القبائل في مناطق عدة في بلاد المغرب ، فأقامت قبائل جشم وهي : سفيان و الخلط والعاصم وبنو جابر في تامسنا وأقامت قبائل معقل في السوس الأقصى وتشمل هذه القبائل الأتيج (4) وذوي حسان والشبانان ، أما قبائل رياح (5) فقد أقامت في أزغار وبلاد الهبط (6) .

ارتبطت الأسرة المرينية الحاكمة ببعض القبائل العربية برباط النسب فالحاج أبا زيان سلطان بني مهلهل، كان خالا للسلطان أبي سعيد المريني (7).

ج- الأندلسيين:

لقد توالى هجرات الأندلسيين على المغرب منذ ارتباط العدوتين إلى أن اشتد هذا الارتباط وقوي في عصر بني مرين (8)، ولقد شهد المغرب الأقصى هجرات كبيرة مقارنة بالمغرب الأوسط والأدنى وهذا ما ذكره " جورج مارسيه " في كتابه (بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في

(1) - سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د.ت ، ج2، ص 442.

(2) - جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكلم، مصطفى أبو ضيف احمد، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1999م، ص 222.

(3) - البادسي، المصدر السابق، ص 75.

(4) - الأتيج: وكانوا أوفر القبائل الهلالية عددا وأكثرهم بطونا، وقد استقروا بجبال الأوراس الشرقية بعد أن تمكنوا من إخضاع صنهاجة. ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص30.

(5) - رياح: ويرجع نسبهم إلى رياح بن أبي ربيعة بن ناهيك بن هلال بن عامر وهو أخ الأتيج ومن بطون رياح عمر وعلي ومنهم: أولاد فادع وأولاد دهمان. ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص43.

(6) - الناصري، المصدر السابق، ص ص 31-32.

(7) - محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص ص 317-318.

(8) - محمد بن شقرون، المرجع السابق، ص 32.

العصور الوسطى) فقال: " وكانت افريقية أكثر استعدادا في هذا المجال عن المغربين ، والمغرب الأقصى كان الأكثر إقبالا لخبراتهم من المغرب الأوسط" (1)، وتميزت من هؤلاء الأندلسيين مجموعتان الأولى مجموعة الأندلسيين المشتركين في الجيش المريني ، وكانوا من الجند النشابة حملت الأقواس بصفة خاصة ، ولمهاراتهم في الرماية تولوا قيادة مركب السلطاني ، أما المجموعة الثانية فهي طبقة العلماء الذين انتقلوا من الأندلس إلى المغرب الأقصى بعد ضياع بلادهم بالاحتلال النصارى الاسباني لها ، وهؤلاء كان لهم دورهم في الحياة الدينية والثقافية في الدولة المرينية (2).

د- اليهود:

تختلط الأسطورة بالتاريخ عندما نحاول الوقوف على بداية الهجرة اليهودية إلى بلاد المغرب، ويظل تحديد تاريخ معين لدخول اليهود واليهودية بلاد المغرب مجالا خصبا لقصص الكتاب اليهود التي تمتد على افتراضات والأرجح هو قدومهم على قوارب (3).

ويذكر "ابن خلدون" أن عددا من القبائل دان اليهودية في الأقاليم المغرب الأقصى وهي: فندلاوة ومديونة وبهلولة وغبانة وبنوفازار (4)، كما كان منهم الأطباء و التجار و الصناع وأصحاب حرف يدوية، وقد انتشروا بمدن كثيرة في المغرب منها تسالة وتطوان والرباط ومكناس ومراكش وطنجة والريف وسبتة (5).

وكان لليهود دور كبير في الحياة السياسية في الدولة المرينية حيث وصل بعضهم إلى أرفع مناصب الدولة فكان "خليفة بن حيون بن زمامة" حاجبا للسلطان "يعقوب بن عبد الحق" (6).

(1) - جورج مارسيه، المصدر السابق، ص 636.

(2) - محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 317.

(3) - عبد الرحمان بشير، اليهود في المغرب العربي (22هـ-462هـ / 642م-1070م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية

والاجتماعية، مصر، 2001م، ص 53.

(4) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 107.

(5) - محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 318.

(6) - عطا علي محمد شحاته ربه، اليهود في المغرب الأقصى في عهد المرينين و الوطاسين، دار الكلمة للطباعة والنشر

والتوزيع، دمشق، سوريا، 1999م، ص 99-100.

أما عن لباسهم في العصر المريني فقد فرضت عليهم نعال خاصة كما أُلزموا بلبس عمامة سوداء أو طاقة تضاف لها قطعة من ثوب احمر، لكن الحرير لم يكن لهن زي خاص بهن، فقد كن يلبسن مثل حرير المسلمين⁽¹⁾.

هـ- العبيد:

اندفع التاجر المغربي إلى بلاد "مالي" من اجل الحصول عليهم بغية بيعهم في الشمال، وكانت "غانة" وعاصمتها "كومبي صالح" (قبل هذا العهد) مشتهرة بهذه التجارة، وطريقها في الحصول عليهم من خلال الغزوات التي كانت تشنها على القبائل البدائية التي تعيش بين الأحرار في المناطق الجنوبية وخاصة من الذين كان يطلق عليهم العرب تسمية "لملم" أو "دمدم"⁽²⁾.

2/ اللباس:

كما كان لباس طائفة من البربر كساء من صوف ومطرفة من أرجوان وجلموسا غليظا على الرأس، كما كانوا يتقلدون بصراف وهو سكين كبير⁽³⁾.

أما السلطان فقد كان له زي خاص، إذ يعمم بعمامة طويلة قليلة العرض من كتان فوقها إحرامات يلفها على أكتافه، وفي يوم الجمع والأعياد يلبس الثوب الذي اهدي إليه من الكعبة تبركا بها⁽⁴⁾. كما كان للفقهاء لباس خاص بهم ذكره "ابن القاضي" في كتابه "حذوة الاقتباس" حيث قال: (وكان لباس الفقهاء كسوة تشمل على برنوس وبرد كلاهما ابيض من صوف، ثم إحرام للتردية ومنديل يتعمم به وقبطية سداسية⁽⁵⁾).

(1) - محمد بن شقرون، المرجع السابق، ص 41.

(2) - مزاحم علاوي الشاهري، المرجع السابق، ص 76.

(3) - البادسي، المصدر السابق، ص 45.

(4) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 297.

(5) - ابن القاضي، حذوة الاقتباس، المصدر السابق، ص 439.

وكان للمشايخ وقادة الجيش عربا وزناتيين يلبسون زيا متشابهما وهو عمامة طويلة يغطيها ثمام يتزل إلى الكتف وكانوا يحملون سيفا ويتمنطقون بأحزمة للزينة أو أيام الحرب وتسمى مضمات⁽¹⁾.

3/الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

وجد الاحتفال بالمولد النبوي الشريف من عهد الفاطميين بمصر حيث كانوا يحتفلون به ضمن ستة مواليد: مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومواليد آل البيت عليهم السلام: علي بن ابي طالب والحسن والحسين وفاطمة الزهراء والسادس: مولد الخليفة الحاضر⁽²⁾.

وأول من اعتنى بالاحتفال بالمولد النبوي الشريف: السلطان يوسف بن يعقوب عبد الحق المريني، ففي سنة (671هـ / 1272م) أمر بعمل المولد النبوي وتعظيمه والاحتفال له عيدا من أعياد في جميع بلاده وسار سلاطين بني مرين بعد ذلك على هذه السنة من الاحتفال بالمولد النبوي⁽³⁾.

وذكر "إبراهيم حركات" في كتابه (المغرب عبر التاريخ ج 2) العطايا الذي كان يقدمها أبو الحسن المريني للفقهاء وغيرهم بقوله: "وفي ليلة المولد يوزع مائة ألف دينار على الفقهاء والأشراف والطلبة والحفاظ ومن يحضر المولد من العلماء والقضاة وغيرهم ممن يقوم بمهمة ليلة المولد"⁽⁴⁾.

في حين يرجع أول من نسب له الاحتفال بالمولد النبوي لقاضي سبتة: أبو العباس احمد بن القاضي محمد أحمد اللخمي⁽⁵⁾ المتوفي عام (633هـ - 1236م) بعد عودته من بلاد المشرق⁽⁶⁾.

(1) - إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 125.

(2) - محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 517.

(3) - محمد عيسى الحريري، المصدر نفسه، ص 333.

(4) - إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 126.

(5) - أبو العباس ابن القاضي: وقد زار مدينة أربيل عالم مغربي (604هـ / 1207م) وحين رأى احتفال صاحبها بالمولد

النبوي، ألف أول كتاب مذكور في هذا الصدد وسماه (كتاب التنوير في مولد السراج المنير) الذي لا يزال غير معروف .

ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص ص 550-554 .

(6) - محمد بن شقرون، المرجع السابق، ص 518.

لعل ما يمكننا قوله في الأخير بالنسبة لعصر الباديسي هو انه عاش في فترة انتقالية الحكم من الدولة الموحدية إلى قبضة الدولة المرينية وهذا الانتقال تم ونتج بسبب خلاف سياسي نتج عنه صراع عسكري، كانت نتيجته اضطراب في الأوضاع، إلا أن ذلك لم يكن دائما لان الأوضاع سرعان ما هدأت بسبب الحكم المريني العادل في مرحلته الأولى انعكس بالإيجاب على الرعاية أدى في الأخير إلى قفزة نوعية في شتى المجالات.

الفصل الثاني: التصوف ومصطلحاته من خلال دراسة كتاب البادسي.

المبحث الأول: دراسة كتاب البادسي.

المطلب 1: وصف الكتاب.

المطلب 2: مضمون الكتاب.

المطلب 3: منهج البادسي في التأليف.

المطلب 4: القيمة العلمية للكتاب.

المبحث الثاني: التصوف ومصطلحاته.

المطلب 1: التصوف حسب البادسي.

المطلب 2: المصطلحات الصوفية الواردة في الكتاب.

المبحث الأول : دراسة كتاب البادسي .

المطلب 1 : وصف الكتاب.

احتوت واجهة الكتاب ، عنوان الكتاب "المقصد الشريف والمترع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف" و إسم المؤلف عبد الحق بن إسماعيل البادسي و اسم المحقق سعيد اعراب و الطبعة و دار النشر⁽¹⁾، و احتوت الصفحة الخامسة على مقدمة المحقق⁽²⁾.

أما فيما يخص الصفحة السادسة فقد تطرق المحقق سعيد أعراب إلى ترجمة للمؤلف ثم ذكر آثاره من التدوين⁽³⁾، ثم أورد المحقق في سطور محتوى الكتاب و منهج البادسي في الكتابة⁽⁴⁾، ثم ذكر المحقق قيمة الكتاب بمنظوره⁽⁵⁾.

ذكر المحقق بعد ذلك النسخ الخطية المعتمدة في تحقيق الكتاب إضافة إلى منهج التحقيق و فهرس الكتاب⁽⁶⁾.

لقد إحتوى الكتاب على 177 صفحة كان آخره غلاف الكتاب، و فيما يخص لون الورق فكان أبيض ناصع أما فيما يتعلق بالخط فكان لونه أسود داكن و من ناحية ترقيم الصفحات فكان رقم الصفحة يقع في أعلاها و إحتوى الكتاب على ذبول و لقد وضعها المحقق كالاتي :

-فهرس الموضوعات .

-فهرس الآيات .

-فهرس الأحاديث .

(1)-ينظر: الملحق رقم2.

(2)-البادسي ، المصدر السابق ، ص 5 .

(3)-البادسي ،المصدر نفسه ، ص6 .

(4)-البادسي ، المصدر نفسه ، ص7 .

(5)-البادسي ، المصدر نفسه ، ص 8 .

(6)-البادسي ، المصدر نفسه ، ص ص 9 - 10 .

- فهرس المصطلحات الصوفية .

- فهرس الأعلام .

- فهرس القبائل و الشعوب و الطوائف .

- فهرس البلدان و الأماكن

- فهرس الأبيات الشعرية .

- فهرس الكتب الواردة في المتن .

- فهرس مصادر التحقيق⁽¹⁾ .

- المطلب 2 : مضمون الكتاب .

أ/ المقدمة الخاصة بالكتاب :

بدأ البادسي بالبسملة في مقدمته ثم بالحمدلة على العباد المحققين بعوارف المعارف ثم بالصلاة على النبي محمد صلى الله عليه و سلم ثم على أصحابه و بعد ذلك قام بإيراد من سبق من العلماء الذين كان لهم الاعتناء الأول بتدوين كرامات الأولياء⁽²⁾ .

ولقد قام بذكر أهمهم بدءاً بأبي القاسم القشيري⁽³⁾، وأبي طالب المكي والحافظ أبي نعيم الأصفهاني⁽⁴⁾، وأبي الفرج الجوزي⁽⁵⁾ .

(1) - البادسي، المصدر السابق ، ص 11 .

(2) - البادسي، المصدر السابق ، ص 13 .

(3) - أبي القاسم القشيري : أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري الفقيه الشافعي كان علامة في التصوف ألف " الرسالة في رجال الطريقة " . ينظر : لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خليكان ، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، دار صادر بيروت لبنان ، 1970م ، مج 3 ، ص 205 - 206 .

(4) - البادسي، المصدر السابق ، ص 15 .

(5) - أبو الفرج ابن الجوزي : الشيخ الإمام العلامة ، الحافظ المفسر ، شيخ الإسلام ، مفخر العراق ، جمال الدين ، ولد سنة تسعة أو عشرة وخمسمائة سمع من علي بن عبد الواحد الدينوري ، وأحمد بن أحمد المتوكلي . ينظر : شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تح : بشار عواد معروف ، محي هلال السرحان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط 11 ، 1996 م ، ج 21 ، ص ص ، 365 - 366 .

الفصل الثاني التصوف ومصطلحاته من خلال دراسة كتاب البادسي

وتكلم عن الأديب المحسن المتقن يوسف ابن الزيات صاحب كتاب التشوف إلى رجال التصوف ، وذكر بأن الدافع لكتابة كتابه إهمال المصنفين و الكتاب من ذكر صلحاء المغرب الأقصى الذي ذكرهم بأدب بارع⁽¹⁾.

وعندما أغفل ابن الزيات المتصوفة الكائنين بين سبته و تلمسان ، ويقول البادسي في ذلك. "فرايت تميم صلته و تنظيم فصيلته بذكر من كان ببلاد الريف ، من ولي يجب به التعريف حتى يعلم أنه كان بريفا المهمل من أحسن في الطاعة و أجمل"⁽²⁾.

ب/- أقسام الكتاب :

تكلم البادسي في موضوع الكتاب على ثلاث أقسام رئيسية بحيث تكلم في القسم الأول عن المقامات والكرامات، و الذي احتوى على أربع فصول ، كان أولها الولاية و الولي و الثاني الفقر و الفقير و الثالث التصوف و أما الرابع في إثبات كرامات الأولياء، أما فيما يخص القسم الثاني فتحدث فيه عن حياة الخضر و تعرف طرف من أحواله ، و ختم موضوعه بقسم ثالث يتضمن التعريف بالمشايخ الأجلة من صلحاء الريف و عددهم 46 ترجمة.

بين البادسي في الفصل الأول مفهوم الولاية⁽³⁾ و الولي وأن الولاية على ضربين ضرب

خاص، و ضرب عام فالخاص قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى

الصَّالِحِينَ﴾⁽⁴⁾ و العام ولاية الله للمؤمنين⁽⁵⁾ ،

(1)-البادسي، المصدر السابق ، ص 14.

(2)-البادسي، المصدر نفسه ، ص 15.

(3)-الولاية : للولاية معنيان أحدهما فعيل وهو من يتولى الله أمره و الثاني فعيل مبالغة بين الفاعل و هو الذي يتولى عبادة الله تعالى و طاعته. ينظر: أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، الرسالة القشيرية في علم التصوف ، تح : معروف مصطفى زراق ، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت، لبنان، 2001 م ، ص 260.

(4)-الآية 196 سورة الأعراف.

(5)-البادسي، المصدر السابق ، ص 18.

قال سبحانه وتعالى:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ
الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ (1).

وذكر البادسي ثلاث طبقات في الأولياء: الطبقة الأولى هم قول لا يخرجهم الله تعالى عن الخلق ويكونون بين الناس لا يعرف ولايتهم إلا الله تعالى (2). أما الطبقة الثانية وهم قوم لا يسكنون إلى أحد ولا يهدؤون عن الانتقال من بلد إلى بلد ولا يشتغلون لهم حرفة واحدة وهي عبادة الله تعالى (3)، والطبقة الثالثة هي طبقة تتكل على الله حق توكله (4).

و تكلم البادسي في الفصل الثاني عن الفقر و الفقير مبينا الفرق بين فقر الإختيار و فقر الإضطراب مستدلا في شرحه بآيات قرآنية و أحاديث نبوية (5) و الفقر لكل شخص تعريفه الخاص ولقد ورد في القرآن في آيات متعددة كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ

هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٥٨﴾﴾ (6).

(1)- الآية 257 سورة البقرة.

(2)- البادسي ، المصدر السابق، ص 20.

(3)- البادسي ، المصدر نفسه ، ص 22.

(4)- البادسي ، المصدر نفسه ، ص 23.

(5)- البادسي ، المصدر نفسه، ص 29.

(6)- الآية 15 سورة فاطر .

الفصل الثاني التصوف ومصطلحاته من خلال دراسة كتاب البادسي

و قال البادسي بأن الفقير هو الذي لديه الشيء اليسير⁽¹⁾، و الفقير إذا كسر نفسه و ذل و إن داس و احترق بنار الشوق صار معدن الخيرات و مقصد المخلوقات⁽²⁾.

أما في الفصل الثالث فلقد تكلم البادسي عن التصوف فقام بتعريفه و إلى من ينسب الصوفية كمصطلح و كل ما ذكره البادسي في هذا القسم كان استنادا على الرسالة القشيرية و رأي أبو نعيم الأصفهاني⁽³⁾، فكل ما ورد في هذا الفصل كان لتبيين أصل التسمية في شأن المتصوف و الصوفية بحيث قال في آخر كلامه و الكلام في الصوفي و التصوف كثير و إيراده يقطع دون المراد⁽⁴⁾.

اعتمد البادسي في إثبات الكرامات الخاصة بالأولياء على مجموعة كبيرة من رأي أهل العلم ممن سبقوه في هذا الموضوع كما أنه ساغ في حديثه عن الكرامات على من أنكرها و رجع لإثباتها مثلما كان الأمر مع أبي محمد بن أبي زيد⁽⁵⁾ أو ممن نكرها نكرانا نهائيا على غرار المعتزلة⁽⁶⁾. كما المعتزلة⁽⁶⁾. كما تحدث عن الفرق بين الكرامة والمعجزة، وبين السحر والكرامة، وإثباتها لا يفترقان بينهما في جواز الفعل إلا بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة، ووقوع الكرامة دون دعوى النبوة⁽⁷⁾.

(1)-البادسي، المصدر السابق، ص 29.

(2)-أحمد الرفاعي حكم السيد الجليل، تح: عبد الفقيه نكه مي، د.د.ن، د.ط، ص 25.

(3)-أبو نعيم الأصفهاني: هو أحمد بن عبد الله بن أحمد ابن إسحاق بن موسى بن مهران الأصفهاني الحافظ المشهور بصاحب كتاب "حلية الأولياء" كان من أعلام المحدثين و من أكابر الحفاظ الثقات. ينظر: ابن خليكان، المصدر السابق، مج 1، ص 91.

(4)-البادسي، المصدر نفسه، ص 31.

(5)- أبو محمد بن أبي زيد: عبد الله نفزي النسب، سكن القيروان، وكان إمام المالكية في وقته، وجامع مذهب مالك، كثير الحفظ والرواية، له تأليف النوادر والزيادات على المدونة. ينظر: إبراهيم بن نور الدين ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م، ص 222-223.

(6)-البادسي، المصدر السابق، ص 38.

(7)- البادسي، المصدر نفسه، ص 39-40.

أما في القسم الثاني فكان عنوانه في إثبات حياة الخضر و تعرف طرق من أحواله بحيث تكلم عنه معتمدا على بعض المصادر مثل السهيلي⁽¹⁾ و البخاري⁽²⁾ و أنه اختلف في تسميته بالخضر قال الخطابي: " إنما سمي الخضر خضرا لحسنه و إشراقه "⁽³⁾.

ولقد ذكر البادسي نقلا عن السهيلي أنه اختلف في اسمه، فعن وهب بن منبه أن اسمه بنيامين، وقيل أنه إيليا بن ملكان بن فالغ، بن شالخ بن أرفخشس بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل هو ابن عاميا بن سماحلين، بن أويا بن علقما ويقال أويا بن عيصو بن إسحاق وأن أباه كان ملكا وأن أمه كانت بنت مالك فارسن أسمها إلهما⁽⁴⁾.

ثم ذكر حياته وكيف التقى بوالده، الذي ولاه أمر الناس لكنه فر منهم لأسباب كثيرة إلى أن وجد عين الحياة فهو حي إلى خروج الدجال وأنه الرجل الذي يقتله الدجال فيحييه الله تعالى⁽⁵⁾ كما استقى المعلومات عن سبب تسميته من الخطابي نقلا عن الأحاديث الصحيحة التي نقلها الشيخين.

(1) -السهيلي : هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الحسن الخثعمي ثم السهيلي أبو يزيد محدث أديب نحوي ، لغوي علامة توفي بمراكش سنة 583 هـ . ينظر : أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي ، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تح : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب لبنان ، بيروت ، 1989 م، ج2، ص 477.

(2) -البادسي ، المصدر السابق ، ص 38.

(3) -أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الزهر النظر في حال الخضر ، تح: صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ط2، 2004 م، ص 41.

(4) -البادسي ،المصدر السابق،ص44.

(5) -البادسي، المصدر نفسه ، ص ص44-45.

الفصل الثاني التصوف ومصطلحاته من خلال دراسة كتاب البادسي

وقد قال البادسي عن البخاري⁽¹⁾ بأنه قال هو و طائفة من أهل الحديث منهم أبو بكر ابن عربي⁽²⁾ بأن الخضر توفي قبل انقضاء المئة استنادا لقوله صلى الله عليه و سلم بأن رأس المئة عام لا يبقى على وجه الأرض أحد ممن هو عليها⁽³⁾ .

وقد تظافت الأخبار بحياة الخضر، و حكايات الصوفية في ذلك كثيرة، مشهورة و عندهم أن رؤيته من الولاية، و من بين الشخصيات المترجم لها في كتاب البادسي علي بن محمد المراكشي والذي لقي الخضر ، وقال سيدي الخضر له يا علي لو أعطيت علم التوحيد ذرة ، حملت السماوات على جفن عينك⁽⁴⁾ .

كما تكلم البادسي في هذا القسم عن معلومات سمعها عن طريق الرواية الشفوية كان صاحبها أحمد العزفي السبتي في كتابه دعامة اليقين في زعامة المتيقن أن أبا الحسين بن الصائغ أنه التقى بالخضر فما زال يتحدثان إلى أن قال الخضر لما مات إبراهيم بن أدهم صرخ صارخ بجبال الشام أن إمام أهل الأرض قد مات ، وأنه قد مات الآن أمان أهل الأرض أبو شعيب أيوب السارية.⁽⁵⁾

قال أبو الحسين ابن الصائغ فلما وصلت إلى الشيخ أبي يعزى قلت له قد مات الشيخ أبو شعيب فقال له قد عرفت و عرفت من عرفك بذلك⁽⁶⁾ .

(1)-البادسي، المصدر نفسه، ص44.

(2)-أبي بكر ابن العربي: محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد العربي المعافري ، المكنى بابي بكر، تعلم عن كبار العلماء و الأدباء أمثال أبي بكر الشاشي و الطرطوشي ولد سنة 468 هـ و توفي سنة 543 هـ . ينظر: أبو الحسن ابن عبد الله ابن الحسن النبھاني المالقي الأندلسي، تاريخ قضاة الأندلس، تح: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت، لبنان، ط 5 ، 1983م، ص ص 105-106.

(3)-البادسي ، المصدر السابق ، ص 46.

(4)-محمد بن محمد التمساني ، سيدي الخضر رأس الأولياء ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 1971م ص120.

(5)-أبو شعيب السارية : و هو أبو شعيب أيوب ابن سعيد الصنهاجي ، من أهل بلد ازموور ومن أشياخ أبي يعزى و يقال انه من الأبدال ، توفي في أزموور سنة 561 هـ . ينظر ابن الزيات ، المصدر السابق ، ص 187.

(6)- البادسي ، المصدر السابق ، ص 46.

أما القسم الثالث و الذي يضمن التعريف بالمشايخ الأجلة من صلحاء الريف قال بأن كل ما ذكره كان مقدمة و النتيجة المعتبرة هو هذا القسم ، لما قصدناه من ذكر المشايخ المستقرين بحوز الريف بقسمية الأوسط والشرقي⁽¹⁾ أو الغربي⁽²⁾ ما بين تلمسان و سبتة ، حسب ما قاله المؤلف و هذا القسم ترجمة لسته و أربعين شخصية أوله كان أبو داوود ابن مزاحم⁽³⁾ و آخر متصوف أحمد ابن محمد ابن الغماز الزهيلي⁽⁴⁾.

ج- خاتمة الكتاب :

و بعدما عرف البادسي بالمتصوفة وضع خاتمة و قال فيها: و هنا وقف طريف القلم و إنتهت مادة الكلام فيما قصدت إليه من تعريف بصلحاء الريف ، نسألك اللهم بجملتهم أن تخلنا في زمركم و من الله أسأل الثواب الجسيم و آخر دعوانا أن الحمد لله ربي العالمي⁽⁵⁾.

المطلب 3 : منهج البادسي في التأليف.

و منهج المؤلف في الكتاب أن يجلي المترجم بحلي التي تناسبه، و يذكره بالمقام الذي وصل إليه ، و يعقد بقوله و قد قيل أن التصوف كذا و كذا فمثلا في ترجمته لإبراهيم ابن صالح يقول : (و قد قيل أن التصوف مراد و مراد)⁽⁶⁾، صنيع أبي نعيم في الحلية ، كل ذلك بأسلوب مسجوع ، و لتقريب وجه الشبه في التحلية نقتبس ترجمة لشخصية في كتاب الحلية عندما قال عنه و منهم النصاح ، و المفهم المفصاح ، أبو وكيع ابن الجراح⁽⁷⁾.

ثم تخلص بالحديث عن ذكر موطن المترجم و القبيلة أو المدينة التي ينتهي إليها بأسلوب مرسل ، و يذكر المدارس التي قرأ فيها أو الزوايا التي تتلمذ بها و الشيوخ الذين أخذ عنهم و ما له

(1)- ينظر: الملحق رقم 3.

(2)- ينظر الملحق رقم 4.

(3)- البادسي ، المصدر السابق، ص 47.

(4)- البادسي ، المصدر نفسه ، ص 50 .

(5)- البادسي ، المصدر نفسه، 159.

(6)- البادسي ، المصدر السابق، ص 151.

(7)- البادسي ، المصدر نفسه ، ص 104 .

الفصل الثاني التصوف ومصطلحاته من خلال دراسة كتاب البادسي

من تلاميذ و مریدین ، و الكرامة التي شوهدت له أو رويت عنه ، و ربما أشار إلى تاريخ مولده و وفاته.

و قد التزم عقب كل ترجمة أبياتا ضمنها للمترجم من مناقب و حلا صنيع ابن زيات و كمثل لخلي ابن زيات نذكر ترجمة عبد الحلیم يعقوب ابن هارون الصديقي و الذي أنظم أبياتا فيه و يقول فيها :

أوصاف أهل الصلاح واضحة فاحرص عليها عساك تدركها
قوم لهم في الضلوع أفئدة أوار نار الضلوع تسبكها⁽¹⁾

وبذلك يكون البادسي قد جمع بين المنهجين منهج أبي نعيم في الحلية ومنهج ابن الزيات في التشوف⁽²⁾، هذا الجمع بين المنهجين جعله يخرج بأسلوب جمع بين جمالية الأسلوب في نظم الأبيات و في تحلية ما تميز به المتصوف من أحوال.

ومن الإشارات الدالة على منهجية البادسي في التعريف بصلحاء الريف، ما حدده للتصوف من وظائف استنادا إلى كرامات الصوفية المذكورين في المقصد الشريف، وهو بذلك يجعل للتصوف ثمانية وأربعين وظيفة يمكن إعتبارها بمثابة الهندسة الرمزية للجمال الحيوي للصلاح لبلاد الريف خلال القرن الثامن هجري⁽³⁾.

وهذا الجمع بين المنهجين ذكره البادسي بنفسه حينما قال: "وقد رسم ابن الزيات في كتابه الذي سقى الحسن يانعه وناظره أبياتا من الشعر لغيره وعلى وجه المثل والمحاضرة، فاقترضت أبياتا

(1)- أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت 430هـ) ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان، 1996 م

مج 8 ، ص 362.

(2)- البادسي، المصدر نفسه، ص44.

(3)- سعيد ابن حمادة ، مقال بعنوان منهجية عبد الحق البادسي في التاريخ للحياة بالريف خلال القرنين 7 و8هـ ، ضمن بحوث

الندوتين الأولى والثانية الحركة العلمية بالريف أصولها وامتدادها، 2014-2015 م، ص209.

عقب كل شيخ تناسب أحواله كل المناسبة وتطابق حالته المرضية ومكاسبه وجعلتها لزومية الروي، جارية على الصراط السوي، موافقة للخير المحكي المروي⁽¹⁾.

المطلب 4: القيمة العلمية للكتاب.

تبدو أهمية المقصد الشريف في أنه حلقة مفقودة في تاريخ التصوف بالمغرب، وهو تصوف نقى لا أثر فيه للشطحات، ووحدة الوجود لولا ما فيه من مبالغات في بعض الكرامات، فهو إلى تاريخ النساك والزهاد أقرب منه إلى التصوف، و لعل ذلك ما لمح إليه في تسميته ب: "المقصد الشريف و المترع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف"⁽²⁾.

والكتاب إلى ذلك وثيقة تاريخية لها أهميتها ونجد ثناء المؤرخين عن الكتاب فابن الحمر في كتابه "بيوتات فاس يقول فيه انه تأليف حسن، صغير الجرم، كبير القدر، غريب الوضع، شهير الذكر"⁽³⁾، فقد عرض لأحداث بني وطاس، والعرب المتغلبين على بلاد الريف أواخر عصر الموحدين ، و القرصنة التي كانت يمارسها الصليبية في البحر الأبيض المتوسط لهذا العهد و غير ذلك ، مما لا نجد في كتاب سواه⁽⁴⁾.

وهو كذلك معجم جغرافي، حدد قبائل الريف بأسمائها، و مواطنها، تحديدا دقيقا مما سيجعل القارئ يعيد النظر في كثير من الحقائق التي أوردها ابن خلدون في التاريخ أو المقدمة⁽⁵⁾.

كما يمكننا القول أيضا أن كتاب عبد الحق البادسي له أهميته الخاصة كيف لا و هو يغطي معلومات و أحداث خاصة حول منطقة ريف الشمال، زيادة على أهم شيء انه ترجم لشخصيات متصوفة ومغمورة، أهملتها مصادر التاريخ عامة و مصادر التصوف خاصة، مما يجعل الكتاب مصدرا يحاكي منطقة ريف الشمال، تحت ما نسميه من مفهومنا الخاص التصوف الجغرافي، لأنه

(1)-البادسي، المصدر السابق ، ص 08 .

(2)-البادسي، المصدر السابق، ص16 .

(3)-البادسي، المصدر نفسه ، ص8.

(4)-ابن الأحرر، المصدر السابق، ص 109 .

(5)-البادسي، المصدر نفسه ،ص8.

الفصل الثاني التصوف ومصطلحاته من خلال دراسة كتاب البادسي

ترجمة للمتصوفة المحصورين تحت رقعة جغرافية لها حدودها الخاصة، تضم قبائل محدودة الانتماء، مثل : بني يطف، بطوية، ورياغل، وبقوية.⁽¹⁾

والكتاب يصور حياة الإقليم و هو من أهم الأقاليم المغربية في حقبة التاريخ، وكان هذا الإقليم مضطربا غير مستقر تتطلع إلى حكمة قبائل شتى، إلى أن يسر الله لأبناء عبد الحق المريني الذين فكروا جديا في ضم هذا الإقليم إلى الوحدة العامة ، و أن ينافسوا أبناء عموماتهم من الوطاسيين الذين تحكّموا فيه في أواخر عهد الموحدين⁽²⁾.

(1) بقوية: قبيلة بربرية استوطنت في بلاد الريف وتعتبر أحد فروع العائلة الصنهاجية. ينظر: أنخيلو كيريلي ، تر وتغ وتغ: عبد المجيد عزوزي، دار أبي رقرق ، د.ب.ن ، ط، 2017، ص 11.

(2) -عبد العزيز الدباغ، المرجع السابق، ص 259.

المبحث الثاني : التصوف و مصطلحاته من خلال كتاب البادسي.

المطلب 1 : التصوف من خلال كتاب البادسي .

في بداية الحديث عن التصوف كموضوع كان و لا يزال محل خلاف بين المهتمين بدراسته ، كذلك الأمر بالنسبة لمفهومه فكل يعطي تعريفا له حسب ما يقتنع به، أو الطريقة التي يتبعها، و لكن الأهم بالنسبة لنا هو تعريف التصوف وحصره بحسب ما ذكره البادسي في كتابه ، بحيث يذكر بأن التصوف كذا و كذا بعد إنتهائه من ترجمة المتصوف⁽¹⁾ ، وهذه نماذج من التعريفات ذكرها في كتابه في شكل مصطلحات: ففي تعريفه للمتصوف مركاب بن عيسى البلندي نجده يقول: "لقد قيل أن التصوف مركب من كلمتين مشاهدة و مجاهدة":

أ-المشاهدة: المشاهدة رؤية الذات اللطيفة في مظاهر تجلياتها الكثيفة، فترجع إلى تكثيف اللطيف فإذا ترى الوداد ورجعت الأنوار الكثيفة اللطيفة فهي المعاينة، فترجع إلى تلطيف الكثيف⁽²⁾، و نجد تعريف المشاهدة في الرسالة القشيرية فهي حضور الحق من غير بقاء تم⁽³⁾.

ب-المجاهدة: وهي فطم النفس عن المألوفات و حملها على مخالقة هواها في عموم الأوقات، و خرق عوائدها في جميع الحالات⁽⁴⁾.

(1)-البادسي، المصدر نفسه، ص56.

(2)-عبد الله أحمد بن عجيبة، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، تق و تح: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، د.ت، ص33 .

(3)- أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، تح: عبد الحليم محمود، و محمود بن شريف، دار الشعب، القاهرة، مصر، د.ت ، ص159، ينظر: الطوسي، اللمع، تح: عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر و مكتبة المثنى ببغداد للنشر والطبع، 1960م، ص100 ، رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان ، 1999 م، ص892.

(4)-ابن عجيبة، المصدر السابق، ص38، رفيق العجم، المرجع السابق، ص830 ، محمد بن بريكة، موسوعة الطرق الصوفية، متون التصوف الإسلامي، دار الحكمة، الجزائر، 2009م ، ج2، ص17، يحيى بن معاذ الرازي، جواهر التصوف ، تح: سعيد هارون، عاشور، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2002م، ص111، عبد الرزاق الكيلاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، دار القلم، دمشق، سوريا، 1994 م، ص234.

والمجاهدة كمصطلح نجده مذكورا في القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾..... ﴿٧٨﴾ (1).

وتختلف المجاهدة باختلاف البواعث، وأن الباعث إن كان طلب النجاة فهي مجاهدة التقوى والورع، وإن كان طلب الفوز بالسعادة والدرجات العلى في الدار والآخرة فهي مجاهدة الاستقامة، وإن كان الباحث طلب المعرفة برفع الحجاب والمشاهدة في الحياة الدنيا فهي مجاهدة الكشف (2).

وفي تعريف آخر للتصوف يشتمل كذلك على كلمتين ذكرهما البادسي عندما ترجم لإسماعيل ابن سيد الناس البطوي عندما قال بأن التصوف وجود وجود: (3)

أ- **الوجود:** لو بحثنا عن مفهوم الوجود في كتب التصوف لوجدنا معناه بأنه نهاية التواجد، و الوجود هو وجدان الحق لذاته بذاته و لهذا تسمى حضرة الجمع حضرة الوجود و الوجود كله علم و كله صفة و كل ما يطلق عليه إسم فهو في حكم مرتبة من مراتب الوجود (4) .
ونجد الوجود في الرسالة القشيرية بأنه يأتي بعد الإرتقاء عن الوجد ولا يكون وجود الحق إلى بعد خمود البشرية (5).

ب- **الجود :** الجود هو من لا يصعب عليه البذل والجود يتوسط السخاء الذي هو المرتبة الأولى والإيثار الرتبة الثالثة (6).

(1) - الآية 78 من سورة الحج.

(2) - ابن خلدون، شفاء السائل و تهذيب المسائل، تح: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1996م، ص122 .

(3) - البادسي، المصدر نفسه، ص57.

(4) - ابن عجيبة، المصدر السابق، ص56، رفيق العجم، المرجع السابق، ص 1031-، 1032.

(5) - القشيري، المصدر السابق، ص 141.

(6) - القشيري، المصدر نفسه، ص 418، ابن عجيبة، المصدر السابق، ص45، رفيق العجم، المرجع السابق، ص261.

ويقول البادسي عندما ترجم للحاج حسون وقيل بأن التصوف تجلي وتخلي (1):
أ-التخلي: عند القوم إختيار الخلوة و الإعراض عن كل ما يشغل عن الحق (2)، وورد الحياء والإحياء على أنهما التصوف عندما ترجم البادسي لأبي يعقوب ابن الشفاف (3).
أ-الحياء: ذوبان الحشمة تحت كنف المولى، وقيل حجل لما ضيعه وأسفى على ما صنعه وقيل دوام الحشمة لما ترك من الخدمة وقيل إنقباض القلب مما يسخط الرب (4).
والحياء من الأحوال التي يضعها الله في قلب المؤمن العارف به فيذعن له ويرتبط به والحياء كحال معناه أن العبد يخشى الله في كل وقت بحيث لا يقدم العبد على عمل أي شيء يغضب الله (5).

والحياء أيضا أول مقام من مقامات المقربين، و هو إطلاق الروح إجلالا لتعظيم الجلال، والإنس إلتذاذ الروح لكمال الجمال ، فإذا إجتمعا فهو الغاية في المبني و النهاية العظمى (6).
أما الحياء كشق ثاني لهذا التعريف نجده منقسما إلى إحياء صوري و إحياء معنوي (7)
ولقد ذكر البادسي بأن التصوف ذكر وسكر و شكر و هي المرة الوحيدة التي أورد فيها ثلاث كلمات تدل على تعريف التصوف وذلك عندما ترجم لعبد الله الطويل (8).

(1) - الحاج حسون :الشيخ الجليل القدر، سباق الغايات ،صاحب الكرامات والآيات وهو من جبل بقوة.ينظر: البادسي المصدر السابق، ص72.

(2) - رفيق العجم، المرجع السابق، ص169.

(3) - البادسي، المصدر السابق، ص 94 .

(4) - عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعريف، تح: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، مصر 1990 م، ص150 ،عبد الحميد الجوهري، التصوف مشكاة الحيران، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب ، د.ت ص129 .

(5) - فيصل بدير عون، التصوف الإسلامي الطريق و الرجال، دار الثقافة، القاهرة، مصر، د.ت، ص 132، القشيري، المصدر السابق، ص373 ، رفيق العجم، المرجع السابق، ص 308 .

(6) - محمد بن بريكة، المرجع السابق، ج2، ص ص340-341 .

(7) - رفيق العجم، المرجع السابق، ص ص 22-23 .

(8) - البادسي، المصدر السابق، ص 108.

الفصل الثاني التصوف ومصطلحاته من خلال دراسة كتاب البادسي

أ-الذكر :و هو إذا أطلق ينصرف بذكر اللسان و هو ركن قوي في طريق الوصول⁽¹⁾ و حقيقة الذكر أن تنسى ما سوى المذكور في الذكر⁽²⁾، وأدنى مراتبه أن ينسى ما دونه⁽³⁾ ومصطلح الذكر

الذكر وارد في القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿١١﴾

﴿١١﴾(4) والذكر على وجهين فوجه من التهليل و التسبيح و تلاوة القرآن ووجه منه تنبيه القلوب

على شرائط التذكير على أفراد الله تعالى و أسمائه و صفاته⁽⁵⁾.

ب-السكر: فهو الغيب عن تمييز الأشياء ولا يغيب عن الأشياء و هو أن لا يميز بين

المرافقة و ملاذه و بين أضادها في مرافقة الحق فإن غلبت وجود تسقطه عن الميز بين ما يؤلمه و يلهه⁽⁶⁾ و السكر استيلاء سلطان الحال⁽⁷⁾.

و السكر زيادة على الغيبة من وجه و السكر لا يكون إلى لأصحاب المواجيد فإذا كوشف

العبد للجمال حصل السكر و طاب الروح و هام القلب⁽⁸⁾.

ج- الشكر: عند أهل التحقيق و هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع⁽⁹⁾، والله

سبحانه وتعالى يجزي من شكر على النعمة قال: ﴿لِنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ﴾⁽¹⁾

(1) - ابن عجيبة، المصدر السابق، ص 47، محمد بن بريكة، المرجع السابق، ج3، ص 403 .

(2) - أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمي، بيروت لبنان، 1993 م، ص 122، القشيري، المصدر السابق، ص 382 .

(3) - أيمن حمدي ، قاموس المصطلحات الصوفية ، دار قباء ، القاهرة، مصر، 2000 م، ص 63.

(4) - سورة الأحزاب، من الآية 41.

(5) - رفيق العجم، المرجع السابق، ص 360 .

(6) - الكلاباذي، المصدر السابق، ص 135، محمد بن بريكة، المرجع السابق، ج2، ص 190.

(7) - عبد القادر بن عبد الله السهروردي، عوارف المعارف، تح: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة مصر د.ت، ج2، ص 319.

(8) - القشيري، المصدر السابق ، ص 153، ابن عجيبة، المصدر السابق ، ص 65.

(9) - القشيري، المصدر نفسه، ص 311.

الفصل الثاني التصوف ومصطلحاته من خلال دراسة كتاب البادسي

ونجد الشكر بأنه فرح القلب بحصول النعمة مع صرف الجوارح في طاعة المنعم أو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع ومرجعه لثلاث، شكر باللسان وشكر بالبدن وشكر بالقلب.⁽²⁾ ونجد في ترجمة جد عبد الحق البادسي أحمد بن محمد بن الخضر بأنه قال وقيل أن التصوف صمت وسمت:⁽³⁾

الصمت: الصمت سلامة وهو الأصل، وعليه ندامة إذ ورد عنه الزجر، فالواجب أن يعتبر فيه الشرع والأمر والنهي والسكوت في وقته صفة الرجال كما النطق في موضعه من أشرف الخصال⁽⁴⁾.

والصمت فإنه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو من مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير أمره فينبغي أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة فإن الكلام يشغل القلب،⁽⁵⁾ بالإضافة إلى أن الصمت من آداب الصوفية وأخلاقهم، فلا يتكلمون إلا لسبب، ولا يسكتون إلا للحكمة.⁽⁶⁾

السمت: فنجد المناوي في كتابه التوقيف على مهمات التعاريف بأنه الهيئة والطريقة والوقار.⁽⁷⁾

(1) - الآية 07 من سورة إبراهيم.

(2) - عبد القادر بن أبي صالح الجليلي، الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية، وضع حواشيه صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1997م، ص323، ابن عجيبة، المصدر السابق ص29، محمد بن بريكة، المرجع السابق، ج2، ص405.

(3) - البادسي، المصدر السابق، ص126.

(4) - القشيري ص226، رفيق العجم، المرجع السابق، ص550.

(5) - فيصل بدير عون، المرجع السابق، ص235.

(6) - حسن الشرقاوي، معجم ألفاظ الصوفية، مؤسسة مختار، القاهرة، مصر، 1987م، ص191-192.

(7) - المناوي، المصدر السابق، ص179.

المطلب 2: المصطلحات الصوفية .

1-الأبدال: سمو الأبدال لأنهم بدلوا خلقا بعد خلق وصفوا تصفية بعد تصفية،⁽¹⁾ وفي كتاب الإنصاف للصنعاني يقول بأن الأبدال قوم يقيم بهم الله عز وجل الأرض، وهم سبعون. أربعون بالشام، وثلاثون بغيرها، لا يموت أحدهم إلا قام مقامه واحد من سائر الناس.⁽²⁾ وذكر البادسي نقلا عن أبي طالب المكي الذي قال حاكيا عن مجموعة من المكاشفين من الأبدال، نحن نرى العباد تنزل عليهم صوراً من السماء⁽³⁾.

2-الإتصال: الإتصال مكاشفات القلوب ومشاهدات الأسرار في مقام الذهول،⁽⁴⁾ وفي كتاب التعرف لأهل التصوف للكلاباذي معنى الإتصال بأن ينفصل بسره عما سوى الله، فلا يرى بسره معنى التعظيم غيره، ولا يسمع إلا منه⁽⁵⁾.

3-الأحوال: ما يحل بالقلوب أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار،⁽⁶⁾ والكلاباذي يقول بأن الأحوال موارد الأعمال ولا يرث الأحوال إلا مصحح الأعمال،⁽⁷⁾ والأحوال مواهب وتأتي من من عين الجواد⁽⁸⁾.

4-الإختبار: فعل ما يظهر به الشيء، ومن الله إظهار ما يعلم من أسرار خلقه.⁽⁹⁾

(1) - رفيق العجم، المرجع السابق، ص 02.

(2) - محمد بن إسماعيل الصنعاني، الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطف، تح: عبد الرزاق بن عبد المحسن بن حمد العباد البدر، دار بن عفان بالسعودية، 1997م، ص 61.

(3) - البادسي، المصدر السابق، ص ص 27-28.

(4) - محمد بن بريك، المرجع السابق، ج 2، ص 30.

(5) - الكلاباذي، المصدر السابق، ص 97.

(6) - الطوسي، المصدر السابق، ص 66، رفيق العجم، المرجع السابق، ص 20.

(7) - رفيق العجم، المرجع نفسه، ص 33.

(8) - القشيري، المصدر السابق، ص 133.

(9) - المناوي، المصدر السابق، ص 41.

5- الأخلاق: عبارة عن هيئة تصبغ النفس، فتصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير فكر ولا روية فإن كانت حسنة شرعا وعقلا سميت خلقا حسنا، أو عكس سميت خلقا سيئا والأخلاق أربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل،⁽¹⁾ وهنالك من يرى بأن التصوف خلق يقول أبو بكر الكتاني "التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء".⁽²⁾

6- الاستقامة: استعمال العلم بأقوال الرسول صل الله عليه وسلم أفعاله وأحواله وأخلاقه من غير تعمق ولا تأنق ولا ميل مع أوهام الوسواس والخروج عن المساهمات ومفارق الرسوم والعادات والقيام بين يدي الله تعالى عن حقيقة الصدق في جميع المجالات.⁽³⁾

والاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيما في حالته ضاع سعيه وخاب جهده،⁽⁴⁾ وكذلك الاستقامة عند الصوفية هي الوفاء بكل العهود ولزوم الصراط المستقيم برعاية حد الوسط في كل أمر من مطعم ومشرب وملبس وكل أمر ديني ودنيوي.⁽⁵⁾

7- الإشفاق: وهو دومة الحذر مقرونا بالترحم، ورقته الأولى إشفاق على النفس من العناد وعلى العمل من الضياع، وعلى الخليقة من المعاذير والثانية على الوقت من التفرقة، وعلى القلب من العارض وعلى اليقين من السبب، وفي الثالثة يصون السعي من العجب ويكف عن مخاصمة، ويحمل النفس على حفظ الحد.⁽⁶⁾

8- الاعتزال: ورد مصطلح الاعتزال في كتاب المقصد الشريف عندما ترجم البادسي لذكرياء بن يحيى بحيث ذكر بأنه كان مستمرا على الانقطاع والاعتزال⁽⁷⁾، كما أن الاعتزال هو طلب العزل

(1) - رفيق العجم، المرجع السابق، ص33.

(2) - عبد الحليم محمود، قضية التصوف المدرسة الشاذلية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 3، د.ت، ص425.

(3) - ابن عجيبة، المصدر السابق، ص ص 33-34.

(4) - رفيق العجم، المرجع السابق، ص 53، القشيري، المصدر السابق، ص 356.

(5) - المناوي، المصدر السابق، ص 49.

(6) - رفيق العجم، المرجع السابق، ص 62.

(7) - البادسي، المصدر السابق، ص63.

الفصل الثاني التصوف ومصطلحاته من خلال دراسة كتاب البادسي

وهو الإنفراد عما من شأنه الاشتراك والاعتزال تجند الشيء عمالة أو إمالة أو غيرها بالبدن أو القلب.⁽¹⁾

9- الأوتاد: ورد مصطلح الأوتاد في كتاب المقصد الشريف عندما تكلم البادسي عن الطبقة الثالثة من الأولياء عندما قال: "قال أبو بكر الوراق لم يزل في الأمم أخبار وتدلأ و أوتاد"⁽²⁾، ويقول ابن عجيبة بأن الأوتاد "هم الراسخون في معرفة الله وهم أربعة كأنهم أوتاد لأركان الكون الأربعة"⁽³⁾.

والأوتاد عبارة عن أربعة رجال منازلهم على منازل الأربعة أركان من العلم شرق، غرب، شمال وجنوب، مقام كل واحد منهم مقام تلك الجهة⁽⁴⁾.

10- الإيثار:⁽⁵⁾ نجد الإيثار كمصطلح مذكور في كتاب الله تعالى حيث يقول تعالى

﴿.....وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ.....﴾ ❁

والإيثار أن يراعي الصاحب في الصحبة حق صاحبه ويتجاوز عن نصيبه في نصيبه ويتجسم التعب من أحل راحة صاحبه⁽⁶⁾، وهو التفضيل ورقته الأولى أن يؤثر الخلق على نفسه، فيما لا يجرم الثانية الثانية رضا الله على غيره، ولو بلغ ما عسى أن يبلغ من مقامات الثالثة إيثار الله، ثم ترك شهود رؤية الإيثار، ثم الغيبة عن هذا الترك⁽⁷⁾.

(1) - المناوي، المصدر السابق، ص55، خالد بن ناصر العتيبي، الطريقة الشاذلية عرض ونقد، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية 2011م، ص 1792.

(2) - البادسي، المصدر السابق، ص 28.

(3) - الصنعاني، المصدر السابق، ص62، المناوي، المصدر السابق، ص 66، ابن عجيبة، المصدر السابق، ص 80، محمد بن

بريكة، المرجع السابق، ج 3، ص 438، ناصر العتيبي، المرجع السابق، ص 1042.

(4) - رفيق العجم، المرجع السابق، ص 122.

(5) - البادسي، المصدر السابق، ص94.

(6) - رفيق العجم، المرجع السابق، ص 127.

(7) - رفيق العجم، المصدر نفسه، ص 127.

11- التكلف: أن يحمل المرء على أن يكلف بالأمر كلفه بالأشياء التي يدعو إليها وهو إسم لما يفعله الإنسان بمشقة أو تصنع أو تتبع⁽¹⁾، وترك التكلف من أخلاق الصوفية وذلك أن التكلف تضع وتعمل وتمایل على النفس لأجل الناس وذلك يباين حال الصوفية، وفي بعضه خفي منازعة للأقدار⁽²⁾.

12- التجلي: عبارة عن كشف العبد بعظمة ربه وهذا قبل الرسوخ، وأما بعد الرسوخ فلا غيبة له⁽³⁾،

والتجلي هو التلبس والتشبه بالصادقين بالأقوال وإظهار الأعمال⁽⁴⁾، وهو على ثلاثة أحوال حسبما حسبما قاله السهلي، تجلي ذات وتجلي صفات الذات، وتجلي حكم الذات⁽⁵⁾.
ونجد في الرسالة القشيرية بأن العوام في غطاء الستر للخواص في دوام التجلي⁽⁶⁾، وبحسب ما نقلته سعاد الحكيم عن كتاب الفتوحات فإن التجلي ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب⁽⁷⁾.

13- التسليم: ورد هذا المصطلح في كتاب المقصد الشريف على مرتين، الأولى عندما ترجم لأبو القاسم بن الصبان وقال البادسي: "وقد قيل أن التصوف تعليم وتسليم"⁽⁸⁾.

ونجد مصطلح تسليم يتكرر ثانية عندما يترجم لوالده إسماعيل الخزرجي وقال: "وقد قيل أن التصوف تعليم وتسليم"⁽⁹⁾.

(1) - المناوي، المصدر السابق، ص 107.

(2) - رفيق العجم، المرجع السابق، ص 197.

(3) - ابن عجيبة، المصدر السابق، ص 67، محمد بن بريكة، المرجع السابق، ج 3، ص 424.

(4) - رفيق العجم، المرجع السابق، ص 161.

(5) - الكلاباذي، المصدر السابق، ص 40، السهروردي، المصدر السابق، ص 318.

(6) - القشيري، المصدر السابق، ص 157.

(7) - سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ندرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1981م، ص 259.

(8) - البادسي، المصدر السابق، ص 65.

(9) - البادسي، المصدر نفسه، ص 131.

الفصل الثاني التصوف ومصطلحاته من خلال دراسة كتاب البادسي

والتسليم هو ترك التدبر، والإختيار بالسكون تحت مجاري الأقدار فيرادف الرضا على الحد الأخير، والرضا أعظم منه على الأولين⁽¹⁾، ونجد المناوي يقول بأنه الإنقياد لأمر الله تعالى وترك الاعتراض فيما لا يلائم⁽²⁾.

14- الحب: هو خلوصه إلى القلب وصفاءه عن كدورات العوارض فلا غرض له ولا إدارة مع محبوبه⁽³⁾، وقيل أنه مشتق من حباب الما (بفتح الحاء) وهو معظمه وقيل اشتقاقه من اللزوم والثبات، وقيل مأخوذ من الحب وهو القرط، وقيل أنه مأخوذ من الحب جمع حبة، وقيل مأخوذ من الحبة (بكسر الحاء) وهي بذور في الصحراء⁽⁴⁾.

ويقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾⁽⁵⁾، ويقول أيضا: ﴿إِنَّ

اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾⁽⁶⁾.

والحب هو شعار السالكين الصادقين، وهو منح الصفات الحميدة كلها في أصحاب الطريق وهو منبع الشكر، وهو منبع الرضا، وهو منبع الصبر⁽⁷⁾.

15- حق اليقين: ميز القرآن بين الحق واليقين جاعلا الحق خالص اليقين وأصح⁽⁸⁾ لقوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾⁽⁹⁾، وحق اليقين ما نشأ عن الشهود والعيان وهو لأهل

(1) - ابن عجيبة، المصدر السابق، ص 31، رفيق العجم، المرجع السابق، ص 174.

(2) - المناوي، المصدر السابق، ص 97.

(3) - رفيق العجم، المرجع السابق، ص 275.

(4) - القشيري، المصدر السابق، ص 520-521، سعاد الحكيم، المرجع السابق، ص 301.

(5) - الآية 22 من سورة البقرة.

(6) - الآية 15 من سورة النبأ.

(7) - عبد الرزاق الكيلاني، المصدر السابق، ص 232.

(8) - سعاد الحكيم، المرجع السابق، ص 1248.

(9) - الآية 95 من سورة الواقعة.

الفصل الثاني التصوف ومصطلحاته من خلال دراسة كتاب البادسي

الرسوخ والتمكين في مقام الإحسان⁽¹⁾، وحق اليقين هم صفة الطبقة الثالثة من الأولياء⁽²⁾ وحق اليقين يتكون من ما يلي:

الحق لغة: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره.

وعرفا: الحكم المطابق للواقع يطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار إشتغالها على ذلك⁽³⁾.

واليقين هو العلم الذي لا يتداخل صاحبه ريب على مطلق العرف ولا يطلق وصف الحق سبحانه، لعدم التوقيف⁽⁴⁾، وحق اليقين هو شهود الحق حقيقته في مقام عين الجمع الأحدية⁽⁵⁾.

16- الحلم: هو الرفق بأن يكون رفيقا في قوله وفعله وبمن تحت يده، والحلم على ثلاثة أقسام، حلم العام وهو العفو عن الجاني مع إضمار العنق باطنا، وحلم الخاص وهو العفو عن الجاني مع إضمار الخير له باطنا، وحلم الأخص وهو العفو على الجاني مقرونا بالبر إليه⁽⁶⁾.

والحلم احتمال الأعلى الأذى من الأدنى، أو هو رفع المؤاخذة عن مستحقيها بالجناية في حق مستعظم، أو هو رزانة في البدن يقتضيها وفور العقل، أو هو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب⁽⁷⁾.

17- الخلوة: نجد مصطلح الخلوة في كتاب البادسي عندما قال: "وقيل أن التصوف خلوة وجلوة⁽⁸⁾، والخلوة صفة من أهل الصفوة⁽⁹⁾".

(1) - ابن عجيبة، المصدر السابق، ص 43.

(2) البادسي، المصدر السابق، ص 26.

(3) - المناوي، المصدر السابق، ص 143.

(4) - القيشري، المصدر السابق، ص 171.

(5) - رفيق العجم، المرجع السابق، ص 295.

(6) - علي بن محمد الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، د.ت، ص 134،

رفيق العجم، المرجع نفسه، ص 305.

(7) - المناوي، المصدر السابق، ص 146.

(8) - البادسي، المصدر السابق، ص 106.

(9) - القيشري، المصدر السابق، 196، حسن الشرقاوي، المرجع السابق، ص 130.

والخلوة مفتاح القرب، يا من صمت في خلوته الشأن في صمت جلوتك، يا بني خلوة ثم جلوة، خرس ثم نطق إقبال على الملك ثم إقبال على المملوك والمقصود من الخلوة التقرب إلى الله تعالى، بعمارة الأوقات وكف الجوارح عن المكروهات، فيصلح من لقوم من أرباب الخلوة، إدامة الأوراد وتوزيعها على الأوقات (1).

كما أن الخلوة هي العزلة عن الناس، يقابلها الخلطة، والخلوة تكون ضرورية في أو الطريق لمريد الآخرة (2).

والخلوة على الحقيقة محادثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره (3)، وأن لا يعرف أحد أنك في خلوة خلوة وهذا من الشروط (4).

18- السالك: أشار البادسي لهذا المصطلح عندما قال: "والسالك من جاهد وقطع المقامات كلها" (5).

والسالك من مشى على المقامات بحاله لا بعلمه فكان العلم له عيناً (6).

والسالك هو السائر إلى الله المتوسط بين المريد والمنتهي ما دام في السير (7).

19- العارف: سئل الجنيد عن العارف فقال: لون الماء لون إنائه ليس له وصف يتصف به (8).

(1) - رفيق العجم، المرجع السابق، ص 332.

(2) - يحيى بن معاذ الرازي، المصدر السابق، ص 158.

(3) - ابن عطاء الله السكندري، المصدر السابق، ص 35، المناوي، المصدر السابق، ص 158، محمد بن بريكة، المرجع السابق، ج 3، ص 208.

(4) - سعاد الحكيم، المصدر السابق، ص 86.

(5) - البادسي، المصدر السابق، ص 86.

(6) - رفيق العجم، المرجع السابق، ص 451-452.

(7) - عبد الرزاق الكشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، تح و تق و تع: عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، مصر،

1992م، ص 119.

(8) - البادسي، المصدر السابق، ص 69.

الفصل الثاني التصوف ومصطلحاته من خلال دراسة كتاب البادسي

كما أن العارف هو الذي بذل مجهوده فيما لله وتحقق معرفته بما من الله وصح رجوعه من الأنبياء إلى الله⁽¹⁾.

والعارف من أشهده الله ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، فالمعرفة حالة تحدث من شهوده⁽²⁾، ونجد في حكم الرفاعي إشارة للعارف تقول: "علامة العارف كتمام الحال وصحة المقال والتخلص من الإكمال"⁽³⁾.

20- عالم الجبروت: ورد هذا المصطلح عندما ترجم البادسي لمحمد اليستيني بحيث قال بأنه سمع علي بن ماحوخ التوزيني⁽⁴⁾ وكان من تلامذته يقول "زاد علي محمد في علم الجبروت وزدت عليه في عالم الملكوت"⁽⁵⁾.

والجبروت هو البحر المحيط الذي تدفق عنه الحس والمعنى⁽⁶⁾، وعند أبي طالب المكي عالم العظمة أي عالم الأسماء والصفات الإلهية⁽⁷⁾.

وينقسم عالم النفس إلى قسمين: قسم مطيع وعاصي فالمطيع يسمى عالم الجبروت وعالم النفس على الجملة هو البرزخ عندهم والعاصي هم أعداء هذه المدينة⁽⁸⁾.

21- عالم الملكوت: والملكوت ما بطن فيها من أسرار المعاني⁽⁹⁾، وعالم الملكوت هو عالم الأرواح والروحانيات، لأنها وجدت بأمر الحق به واسطة مادة ومدة⁽¹⁰⁾.

(1) - رفيق العجم، المرجع السابق، ص 592.

(2) - عبد الرزاق الكاشاني، المصدر السابق، ص 124.

(3) - أحمد الرفاعي، حكم السيد الجليل أحمد الرفاعي، تح: عبد الغني نكه مي، د.د.ن، د.ط، ص 11.

(4) - البادسي، المصدر السابق، ص 114.

(5) - البادسي، المصدر نفسه، ص 85-86.

(6) - ابن عجيبة، المصدر السابق، ص 62.

(7) - المناوي، المصدر السابق، ص 120، عبد الرزاق الكاشاني، المصدر السابق، ص 124.

(8) - رفيق العجم، المرجع السابق، ص 245.

(9) - ابن عجيبة، المصدر السابق، ص 62.

(10) - عبد الرزاق الكاشاني، المصدر السابق، ص 124.

علم اليقين: وهي صفة الطبقة الأولى من الأولياء ، وهو عامة الأولياء وعلم اليقين، كمن سمع بمنزل كم عمل عليه ليراه ويدخله⁽¹⁾، وعلم اليقين ما كان ناشئا عن البرهان⁽²⁾.

22- علم اليقين: هو معرفة الله بك إذا أنت عين الدليل عليه وهو إثبات ذات غير مكينة ولا معلومة الماهية، محكوم عليها بالألوهية سلطانا وحجة لا ريب فيه⁽³⁾، ويقول البادسي أن الطبقة الأولى من الأولياء صفتهم علم اليقين⁽⁴⁾.

23- عين اليقين: وهو صفة الطبقة الثانية من الأولياء ويقصد بصفتهم مشربهم الذي سقوا منه، وعين اليقين كمن رأى المنزل وعد على دخوله، وعين اليقين لخاصة عامة الأولياء⁽⁵⁾، وعين اليقين ما أعطته المشاهدة والكشف⁽⁶⁾، وما كان من طريق الكشوف والنوازل⁽⁷⁾.

24- القطب: فهو القائم بالحق الكون، والمكون وهو واحد وقد يطلق على من تحقق بمقام وعلى هذا يتعدد في الزمان الواحد أقطاب في الأحوال والمقامات والعلوم يقال: فلان قطب في العلوم، أو قطب في الأحوال، أو قطب المقامات⁽⁸⁾.

وفي كتاب التعريفات للمناوي قد يسمى القطب غوثا باعتبار التجاء الملهوف إليه عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه⁽⁹⁾.
ونجد الكاشاني عن القطب يقول هو الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى، من العالم في كل زمان وهو قلب إسرافيل عليه السلام⁽¹⁰⁾.

(1) - البادسي، المصدر السابق، ص 26.

(2) - ابن عجيبة، المصدر السابق، ص 43.

(3) - سعاد الحكيم، المرجع السابق، ص 1252.

(4) - البادسي، المصدر السابق، ص 26.

(5) - البادسي، المصدر نفسه، ص 26.

(6) - الجرجاني، المصدر السابق، ص 134.

(7) - السهروردي، المصدر السابق، ص 320، ابن عجيبة، المصدر السابق، ص 43، رفيق العجم، المرجع السابق، ص 688.

(8) - ابن عجيبة، المصدر السابق، ص 80.

(9) - المناوي، المصدر السابق، ص 273، الصنعاني، المصدر السابق، ص 63.

(10) - الكاشاني، المصدر السابق، ص 162، رفيق العجم، المرجع السابق، ص 759.

25-المجذوب: نجد البادسي في كتابه يقول رأيه عن المجذوب وذلك عندما ترجم لمحمد اليستيني بحيث قال "فالمجذوب المسلوب، من نال ما نال من غير كبير مجاهدة"⁽¹⁾.

والمجذوب من اصطنعه الحق تعالى لنفسه واصطفاه لحضرة أنسه، وطهره بماء قدسه فحاز من المنح والمواهب ما فاز بجميع المقامات والمراتب به كلفة المكاسب والمتاعب⁽²⁾.

26-المحبة: المحبة ميل القلوب حسب ما قال الجنيد ومعناه أن يميل قلبه إلى الله وإلى ما الله من غير تكلف⁽³⁾، وحسب ابن عجيبة ميل دائم هائم، أو له ميل على الجوارح الظاهرة بالخدمة وهو مقام مقام الأبرار، وثانيا على القلوب الشائقة بالتصفية والتحلية، وهو مقام المربين السالكين، وثالثا على الأرواح والأسرار الصافية بالتمكين من شهود الحبوب، وهو مقام العارفين⁽⁴⁾، وأصلها في الأحوال الإبتهاج بشهود الحق وتعلق القلب به معرضا عن الخلق، معتكفا على المحبوب بجوامع هواه غير ملتفت إلى ما سواه⁽⁵⁾.

والمحبة حالة شريفة، شهد الحق سبحانه بها العبد، وأخبر العبد عن محبته⁽⁶⁾، ويرى ابن تيمية أن المحبة أصل كل عمل ديني⁽⁷⁾.

27-المريد: هو الذي تعلق إرادته بمعرفة الحق، ودخل تحت تربية المشايخ وقد تقدم⁽⁸⁾، والمريد الذي صح له الابتداء وقد دخل في جملة المقطعين إلى الله تعالى بالسلم وشهد له قلوب الصادقين إرادته ولم يترسم بعد بحال ولا مقام فهو في السير مع إرادته⁽⁹⁾.

(1) - البادسي، المصدر السابق، ص 86.

(2) - الكاشاني، المصدر السابق، ص 96، المناوي، المصدر السابق، ص 298، الجرجاني، المصدر السابق، ص 169.

(3) - الكلاباذي، المصدر السابق، ص 128.

(4) - ابن عجيبة، المصدر السابق، ص 32، السهروردي، المصدر السابق، ص 300.

(5) - الكاشاني، المصدر السابق، ص 307، المناوي، المصدر السابق، ص 299.

(6) - القشيري، المصدر السابق، ص 519.

(7) - مصطفى حلمي، ابن تيمية والتصوف، دار الدعوة، الإسكندرية، مصر، ط 2، د.ت، ص 240.

(8) - ابن عجيبة، المصدر السابق، ص 78، المناوي، المصدر السابق، ص 303، حسن الشرفاوي، المرجع السابق، ص 262،

الجرجاني، المصدر السابق، ص 174.

(9) - رفيق العجم المرجع السابق، ص 876.

28- المعرفة: المعرفة طلب المحبة⁽¹⁾، وفي تعريف آخر عن المعرفة هي إدراك الشيء في ذاته وصفاته على ما هو به ومعرفة الباري سبحانه وتعالى⁽²⁾، والمعرفة معرضات معرفة حق ومعرفة حقيقة⁽³⁾.

(1) - البادسي، المصدر السابق، ص 25، أبي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن الحسين النيسابوري، المقدمة في التصوف وحقيقته، تح: يوسف زيدان، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، د.ت، ص 37.

(2) - ابن عطاء الله السكندري، ص 40، الكاشاني، مصدر سابق، ص 363، عبد الحميد الجوهري، المرجع السابق، ص 59، الجرجاني، المصدر السابق، ص 185.

(3) - الطوسي، المصدر السابق، ص 56، حسن الشرقاوي، المرجع السابق، ص 206.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

المبحث الأول: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الجهادي.

المطلب 1: علاقة المتصوفة بالسلطة.

المطلب 2: الدور الجهادي للمتصوفة

المبحث الثاني : الدور الاجتماعي والفكري.

المطلب 1: الدور الاجتماعي.

المطلب 2: الدور الفكري.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

المبحث الأول: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الجهادي.

المطلب 1: علاقة المتصوفة بالسلطة.

إذا ما تكملنا عن الدور الذي لعبه المتصوفة في المجال السياسي فإنه يتوجب علينا إبراز العلاقة المتمثلة بين المتصوفة و السلطة ، والتي لم تأخذ اتجاه واحد بل كانت متذبذبة تأخذ شكل التنافر أحيانا والهدوء و التفاهم و الاستقرار أحيانا أخرى و لكن بالرغم من هذا كله نقول بأن التصوف وعلاقتهم مع السلطة تحسنت بعد القرن السادس ونجد بعض الإشارات في كتاب البادسي تشير إلى ما نبحت عنه، فهذا أبو داوود بن مزاحم (1) تلميذ أبي مدين شعيب (2) جاءه رسول مبعوث من أحد أمراء الدولة الموحدية وقتها من طرف أحد أبناء عبد المؤمن بن علي، و الذي أصيب بداء البرص، فعجز الأطباء عن شفاؤه، فتوجه إليه أبو داوود بن مزاحم إلى مراکش مركز حكمه، وعندما علم الأمير بقدمه أمر بدخوله عليه، وقال له بأن بجسدي داء قد أعيا الأطباء، فعالجه أبو داوود وشفى الأمير من فوره وكمكافئة له أمر بمال كثير، لكن أبو داوود امتنع عن قبوله (3).

إن هذه الرواية التي أدرجها البادسي في كتابه تشير إشارة كبيرة إلى احتكاك المتصوفة بسلطة الحكم لأن تحليلنا لها يجعلنا نقول بأن عدم رفض أبو داوود لدعوة الأمير الموحي بالتفاهم بين

(1) - أبو داوود مزاحم: القطب العارف الولي، ذو الفضل الظافر الجلي، والقدر السمي العلي، توفي سنة 578هـ. ينظر البادسي، المصدر السابق، محمد الطاهر علاوي، مراجعة أبو بكر مرزوق، دار الأمة، تلمسان، 2011م، ص59.

(2) - أبو مدين شعيب: الشيخ الفقيه المحقق، الواصل القطب، وهو من ناحية إشبيلية، المدفون بالعباد بمدينة تلمسان. ينظر: أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني، الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية تح و تع: عادل نويهض دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 2، 1979م، ص 22، أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، مر: ابن أبي شنب، المطبعة الثعلبية، الجزائر 1908م، ص 108، ابن مخلوف شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تع: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ج1 ص 164، ابن عيشون، المصدر السابق ص65، أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي، المستفاد في مناقب العباء، بمدينة فاس و مايلها من البلاد، تح: محمد الشريف، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، مطبعة طوب بريس، الرباط، المغرب، 2002م، ص 41، أحمد بن محمد المقري التلمساني نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار إصدار بيروت، لبنان، 1988م، مج 7، ص136.

(3) - البادسي، المصدر السابق، ص 53 54.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

الطرفين، بالرغم من أن الفترة التي عاشها أبو داوود و المتمثلة في حكم عبد المؤمن بن علي و ابنه أبو يعقوب يوسف، كانت ما تزال تحتوي على بعض من ذلك الصراع القائم بين السلطة و المتصوفة والواقع يبين لنا أن الكرامة السابقة تحتوي على دلالات و إichاءات تشير إلى قبول المتصوفة التقرب من أصحاب السياسة .

ويبدو أن عهد المنصور الموحيدي شهد استدعاء متصوفة آخرين رغم الشك الذي كان ينتاب أصحاب السلطة في أمرهم، و لو أنهم كانوا من كبار المتصوفة أمثال أبي مدين شعيب⁽¹⁾.

ومن خلال وقوفنا على الكرامات ذات البعد السياسي والتي قلما وجدنا ها في المقصد الشريف فإنه يتضح جليا في بعضها تلك المعارضة التي أبداها المتصوفة اتجاه السلطة الموحدية،² وكان نفور الصلحاء من الحكام أكثر مما نتوقع، بحيث أننا نجد في بعض الأحيان أن السلطان في العصر المريني ورغم تقريبه للمتصوفة وقصده إليهم لمكان عيشهم إلا أنهم يرفضون استقباله.⁽³⁾

وتعتبر الفترة الزاهية للتصوف في المغرب الأقصى تتمثل في فترة الحكم المريني، الذي كان سلاطينه يسعون إلى كسب تعاطف المتصوفة ، والتبرك بدعواتهم واتقاء معارضتهم، مما يجعلنا نقول بأن التصوف في هذه المرحلة بلغ مكانة كبيرة في وسط البيئة المغاربية، وأصبحت المتصوفة قوة لا يستهان بها وهذه حقيقة تاريخية لا نستطيع الهروب منها⁽⁴⁾. ونشير إلى رواية ذكرها البادسي تبين لنا تقرب السلطان المريني أبو يوسف يعقوب إلى أبي إسحاق بن مطهر، معظما من شأنه، ومعترفا بفضله ويريد لقاءه ولكنه يأبى ويرفض، وهذا يرجع لفعل أبو يوسف يعقوب، عندما أمر بسجنه مع أبو يعقوب المحاسني، وأبو عبد الله بن عمران⁴.

(1) - لخصر بولطيف، فقهاء المالكية، والتجربة السياسية الموحدية في المغرب الإسلامي مع دار الصديق، الجزائر، 2015م، ص

422.

(2) - التميمي ، المصدر السابق، ص235 .

(3) -المقري التلمساني،المصدر السابق، مج6، ص 492.

(4) -البادسي، المصدر السابق، ص 110.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

نبقى في نفس الفكرة و هي علاقة السلطان مع المتصوفة كفكرة عامة و مع صلحاء منطقة الريف كفكرة محصورة و خاصة، إذ يقول البادسي في محاولة تقرب أبو يعقوب من إسحاق بن مطهر " لما بنى الأمير يعقوب المدرسة في قبلة جامع القرويين من رحبة البقر، و أراد دخولها ، صلى في جامع القرويين يوم جمعة و كان الفقيه إسحاق يصلي في الجانب الغربي من الصف الأول ، فلقية الأمير يعقوب بعد صلاة الجمعة فقام إليه و عانقه ثم قعد معه و قال أسألك عن ثلاث مسائل: فقال له لا فائدة لك في السؤال فإنك لا تعمل بالجواب ، فألح عليه و أبي ، و قال له عد عن هذا فما أجيبك بشيء ، فقال له ، أدع لنا ، فدعا له و انصرف " (1).

إن هذه الرواية التي ذكرها البادسي، وإن كانت في ظاهرها تشير إلى تعامل السلطان مع الفقيه، ولكن إسحاق بن مطهر كان متشعبا بالتعاليم الصوفية، التي فهجها إخوته في منطقة الريف، مما يجعلنا نظن وبنوع من الجزم بأن الصلحاء بمنطقة الريف كانت لهم مكانة مرموقة لدى السلطة، كيف لا وهذه الرواية تشير إلى تعنت إسحاق ورفضه على الإطلاق لتقرب السلطان منه.

كل هذا إشارة إلى مكانة المتصوف في المغرب الأقصى تحت الحكم المريني، وهذا إن دل على شيء فإنه دال على مكانتهم كشريحة هامة في المجتمع الريفى (2).

و لم تكن علاقة الصلحاء مع السلطة المركزية فحسب، بل كانت أيضا مع عمال بني مرين والمتمثلين في بني وطاس (3).

فهذا إبراهيم بن عيسى بن أبي داود قصده ياسين بن الوزير الوطاسي في جماعة وقت تغلبهم على بلاد نكور، (4) و كان هدفه من هذه الزيارة من أجل أن يأكلوا عنده، خاصة وأنها كانت سنة بمجاعة.

(1) - البادسي، المصدر السابق، ص111.

(2) - عيسى الحريري، المرجع السابق، ص356.

(3) - بنو وطاس: وهم فخذ من بني مرين لكنهم ليسوا من بني عبد الحق. ينظر، الناصري، المصدر السابق، ج3، ص73

(4) - بلاد نكور: تنتسب بلاد نكور نسبة إلى وادي نكور، الذي ينبع من جبال قبيلة كزناية، ويخترق قبيلة بني ورياغل، لينتهي مصبه في البحر الأبيض المتوسط. ينظر: الميلود كعواس، إمارة نكور ودورها في خدمة المذهب المالكي، منشورات المجلس العلمي المحلي لإقليم الناظور، مطبعة القبس، الناظور، المغرب، 2016م، ص16.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

ولكن تظاهروا بزيارتهم فقط فصنع لهم إبراهيم الطعام، وهذه إشارة تدل على تعامل الصلحاء مع عمال الدولة المرينية تحت إطار العلاقة السياسية⁽¹⁾.

ونجد كذلك إشارة أخرى في نفس السياق الذي لمخنا إليه، وهو السلطة و المتصوفة بحيث ذكر البادسي ما حدث مع المتصوف إسماعيل الخزرجي⁽²⁾ ووالي البلاد الذي لم يلمح من يكون بحيث يقول البادسي "أن والي البلاد أراد أن يشهد له شهادة الزور، فأمتنع من كذلك، ومن كان أسلفه قبل ذلك بسنين خمسة عشر دينارا، جهز بها بعض بناته، ثم قرأ على أولاده القرآن عاما كاملا بالخمسة عشر دينارا، و كتب له براءة بخلاصه من دينه وعند امتناعه من الشهادة بالخمسة عشر دينارا فقال درست أولادك بها، فقال له لا أعلم ذلك، فألتمس البراءة فلم يجدها ولم يمكنه حلافه، فما وجد إلا أنه أخذ ثمانية عشر دينارا سلفا في شعير ذمته، ودفع الدراهم إلى الظالم"⁽³⁾.

القارئ المتمعن للحادثة يكتشف رفض المتصوف الرضوخ لوالي البلاد وامتنال الأمر له في شهادة الزور، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن المتصوفة كانت لهم الحرية في التعامل مع الحكام وولاية الأمر، بالرغم من قدرة الأمير من تطبيق سياسة الغدر تحت ما نسميه الاغتيالات الصوفية إن صح التعبير.

(1) - البادسي، المصدر السابق، ص62.

(2) - البادسي، المصدر السابق، ص131.

(3) - البادسي، المصدر نفسه، ص ص 131-13.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

المطلب 2: الدور الجهادي للمتصوفة.

قبل دخولنا في الموضوع بتفاصيله المتمثلة في دور المتصوفة في الجهاد يمكننا القول بأن هته المرحلة مثلت منعرجا حقيقيا في تاريخ المغرب الأقصى، خاصة وأن الفترة المترجم له تمثل تراجعا نسبيا للأسطول الإسلامي في المنطقة، خاصة بعد الصراع الذي كان بين المرينيين والموحدين، وبين المرينيين والنصارى فيما بعد، مما جعل المتصوفة تحل محل الأسطول بنسبة معينة من أجل التصدي للخطر الخارجي⁽¹⁾

في سياق الحديث عن المتصوفة، ودورهم المتمثل في الجهاد سواء تعلق الأمر في جهادهم للنصارى على سواحل المغرب، أو محاربة الأعداء الخارجين عن السلطة المرينية من العرب الهلاليين الذين تغلبوا على بلاد الريف سنة 635هـ⁽²⁾، وهي المرة الثانية و استولوا على بعض ما يوجد في مدينة بادس بالتحديد، ولقد كان الأهالي يخافون منهم ويحتفون عن أنظارهم⁽³⁾.

وكان أولئك العرب يجرون الناس على مغرم يأخذونه، فطلبوا قبيلة بني ورترد بالمغرم، فأبوا عليهم وتمنعوا ببعض معاقلهم بساحل البحر، وطلبوا من إبراهيم بن عيسى بن داوود⁽⁴⁾ أن يوصلهم إليهم بحجة أنهم يريدون الصلح بين بعضهم، فتمنع كل الامتناع، وألحوا عليه كثيرا فقال: "اللهم لا ترده من عندهم"، وتوجه إلى جماعة من بني ورترد، وعرفهم بما طلبه العرب منهم فأبوا من الانقياد إليه⁽⁵⁾.

(1) - محمد أحميان، مقال بعنوان ساحل بطوية والحوض الغربي للمتوسط بين الانفتاح والانعزال، نشر ضمن الملتقى الثالث للتراث العلمي والحضاري بالريف، الناظور، المغرب، 28، 29، نوفمبر 2015م، ص49.

(2) - البادسي، المصدر السابق، ص62.

(3) - أحمد البوعياشي، حرب الريف التحريرية ومراحل النضال، نشر عبد السلام جسوس وسوشيريس، طنجة، 1974م، ج1 ص168.

(4) - إبراهيم بن عيسى بن داوود: العابد الزاهد، المرابط المجاهد، الذي قام له في التلاوة أعدل شاهد، المدمن على تلاوة المحكم الناطق بالحكم. ينظر: البادسي، المصدر السابق، ص60.

(5) - البادسي، المصدر نفسه، ص61.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

فحوى الرواية التي آمدنا بها البادسي تبين لنا في شطرها الأول مدى ظلم العرب على قبيلة بني ورترد من أخذهم المغرم بالقوة، وفي شطرها الثاني نجد أهمية الدور الذي لعبه هذا المتصوف من كشفه لحقيقة العرب الخفية في محاولة منهم من أخذ ما أرادوه من القبيلة خاصة وأن العرب في هذه المرحلة كانت تعرف بتخريبها للمدن وأخذ ما يشبع رغبتهم.

ويدلنا هذا النص السالف ذكره، بأن تسلط العرب وتغلبهم كان أكبر مما نتصوره، بحيث أن الأهالي ينفرون منهم ولا يخالطوهم، وأن تخريبهم كان من زمن مضى ومثال ذلك ما حدثهم بينهم وبين عبد الحق بن محيو سنة 613هـ⁽¹⁾.

ونجد في ثنايا كتاب البادسي كرامة تتعلق بإسماعيل سيد الناس البطوي ويقول فيه البادسي: "هو المحقق العارف، ذو الحقائق والمعارف، الزاهد في كل تالد وطارف، الغني بخشين الصوف عن لين المطارف"⁽²⁾، وهو من بني عيسى ينسب إلى بطوية⁽³⁾، ولقد استقر بتازرورت من بلاد بني عيسى، ومات وقبره بها في روضة قبلة المسجد الذي خارج الحصن المنيع، ولقد كان بنو عيسى يتحصنون به في حالة حصار العرب لهم، ولقد كان العرب يحيطون بهم جهة روضة الشيخ إسماعيل وإن خرج بنو عيسى عن حيز الروضة نال منهم أعدائهم من قتل وسي، وإن قاموا في حوز الروضة ووصلهم أعدائهم نال منهم بنو عيسى ما أرادوا من قتل و سي، ولقد كان حد العبور للعرب للحصن هو الروضة التي قبر فيها الشيخ إسماعيل، بحيث ينهزمون فور وصولهم إليها⁽⁴⁾.

هذه الإشارة التي أوردها البادسي التي تدل على كرامة الشيخ تجاوزت البعد الزمني فكان لها دور هام في رد الأعداء وهو في قبره، وهذه الكرامة التي بقيت بعد موته وإن كانت نوعا من الخرافة والمبالغة، فإننا لا نجزم فرضية حدوثها من عدمها، بل نذكرها كمعلومة دونت في كتاب المقصد

(1) - أحمد البوعياشي، المرجع السابق، ص 169.

(2) - البادسي، المصدر السابق، ص 57.

(3) - بطوية: ويقال بطوية وهي قبيلة شهيرة لها ذكر يذكر في التاريخ المغربي، كانت مواطن معظمهم بريف المغرب الأقصى

وبشبه جزيرة مار. ينظر عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص 330.

(4) - البادسي، المصدر السابق، ص 58.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

الشريف، وما مدى دور هذا القبر في التصدي للعدو، فالبادسي دون لنا كرامات المتصوفة في التصدي للقبائل العربية وهم أحياء، دون أن ينسى كراماتهم التي بقيت بعد وفاتهم، وذلك تفسير لتجاوز الكرامة للإطار الزمني.

لقد أوردنا بعض الأدوار التي قام بها المتصوفة في الدفاع عن أنفسهم وعن مناطق عيشهم، وكان هذا الدفاع بالأساس ضد العرب، وسنحاول الآن توضيح الوقائع التي حدثت بين المتصوفة والنصارى.

ولعب الرباط⁽¹⁾ الذي أسسه المتصوفة دورا هاما في مراقبة العدو المباغت بجرا، وخصوصا وأن القرصنة البحرية كانت توجه غاراتها ضد البلاد، لنهب المال وأخذ الأولاد⁽²⁾.

ومن بين الرباطات التي نبجدها في كتاب البادسي رباط بادس والتي كانت تلعب دورا هاما في عملية الحراسة، بالإضافة لكونها نقطة إنطلاق نحو الجهاد إلى بلاد الأندلس كونها تقع في ساحل البحر، فنجد البادسي يقول: "حدثني علي بن مخوخ التوزيني رحمه الله تعالى قال: لما رجعت من المشرق وتوجهت أريد الغزو بجزيرة الأندلس، فبت في بادس على سطح الرابطة على البحر"⁽³⁾.

يبدو من كلام البادسي من أن رابطة بادس وإن كانت في بادئ أمرها للتعبد لأصحاب التصوف إلا أنها لم تكن محدودة الفائدة، إذ أنها كما رأينا تمثل قاعدة عسكرية لمجاهمة النصارى، كما أنه يمثل مؤسسة تعليمية ومكان تعبد للمجاهدين المرابطين ضد النصارى⁽⁴⁾.

يصور لنا البادسي نموذجا آخر من كرامات الأولياء، والتي كانت سببا في مجاهدة العدو، وهي أن امرأة توفي زوجها وبقي لها ولدان، أحدهما سافر من بادس إلى سبتة فأسره العدو، فذهبت المرأة

(1) - الرباط: مصدر واسم مكان، يراد به المرابطة وهي ملازمة ثغر العدو، ويراد به الرباطات المبنية. ينظر: محمد ضريف

مؤسسة الزوايا بالمغرب، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، 1992م، ص34

(2) - أحمد البوعياشي، المرجع السابق، ص152.

(3) - البادسي، المصدر السابق، ص117.

(4) - نفيسة الذهبي، الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية — بالرباط، دار النجاح

الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1997م، ص31.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

إلى الشيخ أبو يعقوب الشاف (1) تروي له ما حدث معها ولولدها الثاني، وقالت له يا سيدي كان لي ابن أكبر يخدم علينا فأسرته العدو وبقيت حائرة بهذا اليتيم (2) فادع الله تعالى أن يجبر على ولدي فمسح الشيخ على رأس اليتيم و قال له يرجع أخوه إن شاء الله ، و لما كان وقت العصر فنادى مناد بأعلى الجبل المشرف على بادس، ينادى بأن السلورة انكسرت ، و الأسر من الروم قد عاد مأسورا لأسيره من المسلمين ، و هذا لأن الروم أرادوا طلي السلورة بالشحم، و لما هموا بإرجاعها للبحر لطمها موج فتكسرت . (3)

ومن بين الربطات أيضا التي كانت تقوم بدور الجهاد رابطة أبي داوود بن مزاحم، والتي بناها و هي على ساحل البحر .

ومما روي عن أبي داوود أنه بات في رابطة ذات مرة، فأسرته العدو و حملوه في مركب و عندما أرادوا الذهاب توقف المركب، فعلموا أنه بسبب أبي داوود فأطلقوا سراحه و قالوا له انزل ، فرفض و قال لهم أطلقوا كل أسير عندكم من المسلمين ، ففعلوا ما طلبه منهم ثم هموا بالمغادرة فلم يتحرك المركب، و قال لهم بقي عندكم عصاي فأعطوه عصاه فتحرك مركبهم (4).

و يبدو أن كرامته هي التي جعلت حرمة رابطة تستمر حتى بعد وفاته ، إذ لم يشاهد فيها عدو بحري يتربص بها و هي ظاهرة بارزة يراها كل من مر على الساحل (5).

(1) - أبو يعقوب الشاف: أصله من قصر كتامة و كان من أعيان وجهائها فرفض الجاه، محكم الفصول والفروع المحافظ على كل مستوى ومشروع. ينظر: البادسي، المصدر السابق، ص95، توفيق الغلبزوري، المنار المنيف في التعريف بعلماء الريف، فهرسة مصطفى أزرياح، منشورات المجلس العلمي بالحسيمة، المغرب، د.ت، ص43.

(2) - البادسي، المصدر نفسه، ص95.

(3) - البادسي، المصدر السابق، ص ص95-96.

(4) - البادسي ، المصدر السابق، ص52.

(5) - سعيد بن حمادة ، مقال بعنوان منهجية عبد الحق البادسي في التاريخ للحياة بالريف خلال القرنين 7 و8هـ، نشر ضمن

بحوث الندوتين الأولى والثانية، الحركة العلمية بالريف أصولها وامتدادها، 2014-2015م، ص230.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

في حين أسهم إسحاق بن مطهر في فك أسر ثلاث مغربيات من أهل غمارة أسرنا شرقي تيطوان بست و عشرين دينارا و نصف من أصل ثمانين و مائتين دينارا ذهبيا طلب بها النصرى مقابل إطلاق سراحهن⁽¹⁾، و أنشد البادسي في نعتة :

العالم الأتقى له شرف فما ينفك في الدنيا رفيع مكان
ربحت تجارته فراح مخلولا من مال بر دائم الأماكن⁽²⁾

كما أننا نجد في كتاب المقصد الشريف رواية أخرى تتعلق بجهاد المتصوف عمر الطنجي في الأندلس مما يجعلنا من هذا المنطلق التأكيد و الجزم على الدور المستفحل الذي أبداه المتصوفة، و لتوضيح هذا الموقف نستدل بنص البادسي الذي قال : " حدثني أحمد بن يحيى الزهيلي عنه قال توجهت إلى الأندلس غازيا فخرجت في سرية ، فداهنا جيش عظيم فأسر من السرية أكثرها و استخفى بعضهم و كنت ممن استخف في شطية"⁽³⁾.

لقد بين لنا نص البادسي إقبال عمر الطنجي لرسم الجهاد و كيف تم القبض عليه ، و لكن عندما نكمل النص حرفيا نجد أنه لم يكتشف أمره و كيف ساهمت كرامته في عدم معرفة العدو عن مكانه ، خاصة وأن العدو في مرحلة البحث عنه استعملوا الكلاب المعروفة بحاسة الشم الكبيرة، و التي قلما تخفى عليها رائحة البشر، ولكن مع هذا المتصوف غاب حس الشم للكلاب و يقول في هذا: " فلقد أتت تلك الكلاب حتى لحست قدمي ثم انصرفت عني و سترني الله تعالى"⁽⁴⁾.

تكلمنا سابقا عن كرامة إبراهيم بن عيسى بن أبي داوود ، التي تعدت الإطار الزمني بحيث بقيت كرامته متعلقة بقره ، و الآن نشير إلى ما حدث و هو على قيد الحياة ، و أنه كان يزاول تعبه في رابطة جده أبو داوود وأن النصرى كانوا يستقون الماء من مكان قرب الساحل و لم يستطع أي من النصرى الوصول لمكانه و كانت زوجته تسقي الماء من المكان الذي يسقي منه النصرى ، ولكن لم يقبلوا ولا مرة على إيدائها⁽⁵⁾.

(1) - البادسي ، المصدر السابق، ص112.

(2) - البادسي، المصدر نفسه ، ص112.

(3) - البادسي، المصدر السابق، ص134.

(4) - البادسي، المصدر نفسه، ص134.

(5) - البادسي، المصدر نفسه، ص106.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

يفهم و يستنتج من هذه الرواية التي انفرد بها البادسي عن غيره من أصحاب تأليف كتب التراجم بأن الدور الذي لعبه الصلحاء عامة و المتصوفة خاصة لم يكن برحلة الجهاد للأندلس فقط ، بل كان لهم دور في حماية المنطقة من العدو الخارجي.

ويوجد نص آخر في كتاب المقصد الشريف ، يبين لنا كيف ساهمت كرامة علي بن محمد المراكشي⁽¹⁾ في نجاته مع مجموعة من المسافرين ، و لقد كان علي بن محمد المراكشي في مدينة هنين⁽²⁾ متوجها إلى بادس و في مدة سفرهم على البحر ، صادفهم قارب بحري متوجه إليهم، مما جعلهم يفزعون خوفا باستثناء علي بن محمد الذي وضع رأسه بين ركبتيه ، فسمع ضجيج من معه وقال: " ما شأنكم فقال له محمد بن إدريس صاحب القارب أظنك مصابا في عقلك ، نحن أمام العدو وأنت تقول ما شأنكم ، أنظر إلى ذلك الشيطي القاصد إلينا قال ننظر إليه ثم قال فكانت منه التفاتة إلى جهته فرأيته قد مسك طوقه بيده و أخذ به كالحائق لنفسه" ،⁽³⁾ ثم رفع علي بن محمد رأسه للسماء ، فأصبح الضباب كثيفا ، بحيث لا يستطيع أي منهم رؤية شيء ، بالإضافة لهبوب رياح حركت القارب إلى بادس و غاب عنهم العدو ، وبهذا وصل هو ومن معه سالمين⁽⁴⁾ .
يشير لنا نص البادسي إلى دور علي بن محمد المراكشي في تأمين نفسه ومن معه ، و هذا من خلال الكرامة السالف ذكرها ، ويتبين لنا من هذه الكرامة أنها لم تأمن شخص دون آخر بل كان لها مساهمة تأمين جميع الأشخاص الذين كانوا على متن القارب و التخلص من العدو و هذا ما نجده في عبارة : " حتى وصلنا بادس سالمين"⁽⁵⁾ .

(1) - علي بن محمد المراكشي: علامة دهره و عصره ، البازل في تأييد التصوف و نصره ، رحل إلى المشرق فأشرق في المطالعة

ينظر : البادسي ، المصدر السابق، ص72.

(2) - هنين: ناحية من سواحل تلمسان من أرض المغرب، منها كان عبد المؤمن بن علي ملك المغرب من بليدة يقال لها تاجرة

ينظر : ياقوت الحموي ، المصدر السابق، مج5، ص419.

(3) - البادسي ، المصدر السابق، ص ص74-75.

(4) - البادسي ، المصدر نفسه، ص75.

(5) - البادسي، المصدر نفسه، ص75.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

المبحث الثاني: الدور الاجتماعي و الفكري.

المطلب 2: الدور الإجتماعي.

أ/- الحياة اليومية للمتصوفة.

عند دراستنا للحياة اليومية للمتصوفة فإننا نلاحظ مدى اختلاف مسلكتهم مقارنة بغيرهم ، بحيث ابتعدوا عن كل مغريات الدنيا و شهواتها⁽¹⁾ ، و هذا المنهج اتبعه أغلب المتصوفة إن لم نقل جلهم، فالبادسي يصور لنا بعض ما يميز المتصوفة عن غيرهم بحيث كانوا يتعبدون في جماعات داخل الرباطات و نستدل من نص البادسي ما يدل على ذلك : " كان من عادة عباد بقوية و صالحيهم أن يجتمعوا ليلة النصف من شعبان و ليلة سبع و عشرين من رمضان و ليلة عاشوراء"⁽²⁾، في الرابطة المعروفة بأبم اليمن⁽³⁾.

هذه الرابطة التي بنتها المرأة يدل على صلاحها بالرغم من جهلنا عن ما يشير إلى شخصيتها، و لكن عندما ذكرها البادسي في كتابه يجعلنا نضعها في قائمة النساء ذوي الصلاح، هذا بالإضافة إلى تعبد كل منهم في خلوته بدل الجماعة ، فهذا أبو يعقوب البادسي نجده يعتزل من حوله إذا دخل شهر رمضان ، و كان من شأنه أن لا يتكلم في هذا الشهر العظيم⁽⁴⁾.

كما أن أغلب المتصوفة ينتمون إلى الشريحة السفلى من الهرم الاجتماعي ، فهم إما يمتحنون مهنة الرعي ، أو حرفيون بسطاء، أو بطالون، و من خلال تتبع سلوكهم اليومي و كذا لباسهم و طعامهم و توجهاتهم في الحياة يتضح منحاهم الزهدي و أسلوبهم التقشفي⁽⁵⁾.

و هذا التقشف يمتاز بالتكيف مع الحياة البدوية⁽⁶⁾.

(1) - الطاهر بوناني، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين 12/ و13 الميلاديين، دار الهدى للطباعة و النشر، عين

مليلة ، الجزائر، 2004م، ص161.

(2) - البادسي ، المصدر السابق، ص92.

(3) - البادسي، المصدر نفسه، ص92.

(4) - البادسي، المصدر نفسه، ص139.

(5) - إبراهيم القادري بوتشيش، جوانب من التاريخ الاجتماعي للبلدان المتوسطة خلال العصر الوسيط ، ندوات كلية الآداب و العلوم الإنسانية مكناس ، المغرب ، 1991م، ص100.

(6) - أحمد الفقيري، مقال بعنوان المدرسة الصوفية بتممسان مركز ثغلال أنموذجا، الملتقى الرابع للتراث العلمي و الحضاري

بالريف، المغرب، 14، 13، ماي 2017م، ص11.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

لقد صور لنا البادسي ، الطابع التقشفي للمتصوفة ، سواء تعلق الأمر بلباسهم أو أكلهم ، و كثيرا ما وصف البادسي المتصوفة بالزهاد ، فهو يقول في إسماعيل ابن سيد الناس البطوي: " الزاهد في كل تالد و طارف ، الغني بخشين الصوف عن لين المطارف"⁽¹⁾.

كما كان محمد بن دوناس يلبس لباس الصوف مطرقة الأرجوان ، و هو لباس غالبا ما اعتبر اللباس المعروف لدى أصحاب التصوف (2) ، و نجد البادسي في ترجمته لعلي بن ماحوخ التوزيني يقول : " حدثني عنه الحاج سليمان الورياغلي ، أنه لم يكن في خدمة الشيخ محمد اليستيني أكثر منه تقشفا"⁽³⁾.

ترجم البادسي لمتصوف اسمه سليمان بن يحيى و يعرف بابن ستهم ، و هو من قبيلة بني محسن ، بحيث قال عنه : "المنقبض عن اكتساب المال، المستتر باللباس الحسن"⁽⁴⁾.

هذه العبارة التي ذكرها البادسي ، و نقلناها نحن نلتبس فيها طابع زهد المتصوف عن المال و أنه لم يكن غايته ، زد على ذلك ، صورة أخرى تشير لنا عن ملبسه الجميل ، خصوصا و أنه قال مادحا إياه بالمستتر باللباس الحسن.

وقد قال البادسي في جده بشأن لباسه : " السخي بأثوابه "⁽⁵⁾ ، وهكذا ظل لباس الصوف المتواضع رمزا للاندماج في فلك الصوفية⁽⁶⁾ ، كما أننا نجد العديد من المتصوفة ممن امتهنوا الخياطة سواء في فترة مكوثهم في بلاد الريف ، أو عندما خرجوا عن مجالها الجغرافي ، و على سبيل الذكر لا الحصر نذكر علي بن محمد المراكشي الذي رجع من المشرق فبقي يمتهن الخياطة حتى وافته المنية⁽⁷⁾ ، بالإضافة إلى أحمد بن محمد عبد الله ابن الغماز، و الذي بقي يمتهن الخياطة طول مجاورته بمكة⁽⁸⁾.

يعتبر الاعتزال و الانقطاع من أهم ما يسعى إليه المتصوفة ، و ذلك من أجل مزاوله عبادته و كان هذا الابتعاد عن مرأى الناس هو غايتهم لكي يخلصوا عبادتهم لله وحده ، و كانت مناطق عبادتهم في بعض الأحيان خارج

(1) - البادسي، المصدر السابق، ص57.

(2) - البادسي، المصدر نفسه، ص59.

(3) - البادسي، المصدر نفسه، ص114.

(4) - البادسي، المصدر نفسه، ص118.

(5) - البادسي، المصدر نفسه، ص126، توفيق الغليزوري، المرجع السابق ، ص39.

(6) - بونابي الطاهر ، المرجع السابق ، ص165.

(7) - البادسي، المصدر السابق، ص72.

(8) - البادسي، المصدر نفسه، ص150.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

المجال الجغرافي للريف ، مثلما كان بالنسبة لأبي القاسم بن الصبان ⁽¹⁾ قال: "مررت ببعض الروابط التي في ساحل برقة على البحر ، فرأيت بإزائها عين ماء فأقمت فيها متجردا للعبادة" ⁽²⁾.

في حين كان منهم من يلازم تعبه في منزله، ويكون قريبا من الرابطة و نجد في المقصد مثل هذا النوع من المتصوفة كإبراهيم بن عيسى بن أبي داوود، و يقول البادسي في تعريفه: "العابد الزاهد المرابط المجاهد المجد الجاهد المراقب الشاهد" ⁽³⁾.

و كان مداوما لقراءة القرآن ليلا و نهارا، قياما و قعودا، و لا يغفل عليه أبدا كما تميز المتصوفة في بلاد الريف بعدم اهتمامهم بالطعام بحكم تقشفهم، فهذا أبو قاسم بن الصبان كان يعيش على سبعين حبة من التين ، لمدة سبعين يوما ⁽⁴⁾.

كما حدثت مجاعة شديدة و كان أبو القاسم قد قطع الإقراء و لزم بيته و لم يسأل قط عن سوء الطعام و لا مبلغ السعر ⁽⁵⁾.

و كان للمتصوفة منازل يسكنونها كل حسب قدرته في بناءه ، فنجد عبارة تشير لبنت إسماعيل بن أحمد الخرجي ذكرت في كتاب المقصد حين قال: "فارتحلت قاصدا بيتي"، و نجد منزلا لبكار ابن الحاج في عبارة قال صاحب المنزل السابق: "فمررت بدار الشيخ بكار" ⁽⁶⁾.

كما برز المتصوفة من خلال الاهتمام والعناية بالأيتام وأخذوا على عاتقهم مسؤولية تربيتهم في غياب الوالدين ولقد اعتمدوا في تربيتهم على منهجهم في الحياة لكي يجذو حذوهم.

(1) - أبو القاسم بن الصبان : هو العلامة العلم، المنير ما تراكم من دياحي شكوك و ظلم ، المتصوف بن صادق حال و أعمال قلم، و كان رحمه الله عالما بالتصوف . ينظر : البادسي، المصدر السابق، ص64.

(2) - البادسي ، المصدر نفسه ، ص67.

(3) - البادسي ، المصدر نفسه، ص60.

(4) - البادسي، المصدر نفسه، ص61.

(5) - البادسي، المصدر نفسه، ص68.

(6) - بكار بن الحاج: وهو من أولاد علي بن حمر ، المنتسبين إلى قبيلة بقوية ، و كان ملازما للتعفف . ينظر : البادسي،

المصدر نفسه، ص124.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

ب- الدور الاجتماعي:

لا يختلف اثنان على أن للمتصوفة دورا هاما متمثلا في الجانب الاجتماعي، فنصوص كتب التراجم تصور لنا العديد من إسهاماتهم في الجانب الاجتماعي، سواء تعلق الأمر من خلال كراماتهم و التي كان لها الدور في تحسين أوضاع المجتمع، أو من خلال إسهاماتهم عن طريق ما نسميه التكافل الاجتماعي، ولكن في سياق حديثنا عن هذا الموضوع نجد أن الكرامة تجاوزت ما يتصوره الإنسان في بعض الأحيان.

فلقد صار للمتصوفة هبة منقطعة النضير مقارنة بالزمن الغابر، بحيث أصبحوا الملاذ لشرائح المجتمع وذلك رغبة منهم في تحقيق مطالباتهم، بحيث قاموا بشفاء المرضى بعدما استعصى الأمر على الأطباء.⁽¹⁾

وكإشارة أولى لهاته الفكرة نجد في ترجمة بكار بن الحاج عندما قام بشفاء إسماعيل بن أحمد والذي قال عندما كان مريضا وهو يمشي في الطريق: "إنما يصلح حالي و يزيل مرضي مرق فلوس لوشربته"، وعندما مر بممثل الشيخ قام بمناداته فخرج بكار فقال له: "أشرب هذا، فإنه يوافقك"⁽²⁾.

يتبين لنا من مكاشفة بكار بن الحاج، و كيف أخرج المرق الذي كان إسماعيل بن أحمد بحاجة إليه من أجل علاج مرضه، يظهر جليا بأن المكاشفة ساهمت في شفاؤه، و تكررت العديد من المواقف المتعلقة بالمكاشفة.

و نجد في ترجمة أبو مروان عبد الملك⁽³⁾ ما يشير إلى المكاشفة و كيف كان لها الأثر في التخلص من آفة اجتماعية كان صاحبها من المشرق قادما إلى المغرب لزيارة أبو مروان، و كان معه جراب من ورق، و هو الحشيشة، فأخفاها في مكان لكي لا يدخل بها على الشيخ أدبا معه، و عندما أراد استعمالها في وقت من الأوقات بحث عنها في المكان الذي أخفاها فيه فلم يجدها، لأن أبو مروان أمر أحد خدامه بأن يذهب في المكان الفلاني وهو المكان نفسه الذي أخفى فيه الحشيشة بحيث أمره برميها في البحر، و عندما رجع الزائر إلى دار الشيخ قادما من مكان الحشيشة فقال له الشيخ: "يا فقير أكل شيئك الأموات فرد

(1) - محمد فتحة، النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ المغرب الإسلامي (من القرن 6-12/9-15م)، منشورات كلية

الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، 1999م، ص187.

(2) - البادسي، المصدر السابق، ص125.

(3) - أبو مروان عبد الملك: العالم المحقق السالك المتحقق، صاحب المجاهدة و الحق المسلوب عن الأحقاد و الأحن وهو من

أهل وجانس، و كان كثير الدعابة. ينظر: البادسي، المصدر نفسه، ص99.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

الفقيه قائلًا استغفر الله⁽¹⁾، بمعنى أنه عرف بمكاشفة الشيخ له والتي تبين لنا البعد العميق الذي تحتويه و المتمثل في إصلاح نفس الزائر و محاولة إرجاعه للطريق الصحيح .

ساهمت كرامة أبو طاهر ابن العلام⁽²⁾ في شفاء أحمد بن محمد الصائغ الشهير بالأدباس ، و يروي البادسي لنا ما حدث له نقلًا عما سمعه منه : " قال مرضت بالعينين مرضًا شديدًا فطفئت إحدى عيني كالعنبية ، فأتى الشيخ أبو طاهر يوما إلى حانوت أبي وأنا بها ، فرأى في عيني و نفخ عليها ثلاث نفخات فعادت إلى وضعها الأول"⁽³⁾ .

يوحي لنا هذا النص القصير إمكانية شفاء أبو طاهر لمرض الأدباس ، و الذي ربما لا يستطيع الأطباء علاجه هذا ما يفهم من مغزى ما وقع بينهما ، و أن المتصوف مستندا بكرامته جعلته محل الطيب .

كما ساهمت كرامة محمد اليستيني⁽⁴⁾ في كشف أحد الأشخاص الذي لم يستطع توفير مستلزمات الفرح بمولوده الجديد ، الذي قال في نفسه: " أريد أن يعطيني محمد اليستيني عتزا جيدا و صحيفة من قمح " ، و فور وصوله للشيخ أمر هذا الأخير شخصين بأن يأتيا له بأربعين درهما ليشتري بها صحيفة قمح، و إعطائه عتزا جيدا⁽⁵⁾ .

كان لمكاشفة محمد اليستيني دور في قضاء حاجة الرجل التي أتى من أجلها للشيخ ، مما يجعلنا نسلم قطعًا حسب ما ذكره البادسي بأن كرامة هذا الشيخ كانت سببا في تحقيق ما يريده الرجل.

و كان أبو عبد الله اليستيني يتصدق بغذائه و ربما واصل الأيام بالتصدق بغذائه و عشائه ، تحت ما نسميه الإيثار ، فلقد كان المتصوفة يفضلون غيرهم على أنفسهم رغبة في التقرب لله عز وجل و كسب طاعته ، لأنه

(1) - البادسي، المصدر نفسه، ص101.

(2) - أبو طاهر ابن العلام: كان حسن الخلق و كثير الصبر و كثير السعي في الطاعة و ذكرت له كرامات كثيرة . ينظر :

البادسي، المصدر السابق ، ص89.

(3) - البادسي ، المصدر نفسه ، ص91.

(4) - محمد اليستيني : قال فيه البادسي هو العلم المنيف ذو المنهج الحنيف المطلوب بالمسلوب العارف بعلل القلوب، سلب من

نفسه و شهواته ، و سار يشكو الظمأ و الماء في لهواته . ينظر : البادسي، المصدر نفسه، ص85.

(5) - البادسي، المصدر نفسه، ص85.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

كان غايتهم و مرادهم متناسين أنفسهم⁽¹⁾، و بهذا الإيثار الذي تميز به هؤلاء المتصوفة فقد ساهم بشكل وافر في خدمة المجتمع المغربي المنحصر في منطقة الريف، خاصة الطبقة المحتاجة و الفقيرة⁽²⁾.

كما ساهم المتصوفة في إصلاح المجتمع ، من خلال محاربة ظواهر فساد و الانحلال الأخلاقي مما يعبر عن رفضهم التام لكل ما هو حرام ، معتمدين في ذلك على مكائهم داخل المجتمع كطبقة إصلاحية بالدرجة الأولى تحمل على عاتقها مسؤولية ذلك ، كونها تتبع المنهج الديني الصحيح الذي أساسه القرآن و السنة و تطبيقها ميدانيا على المنحرفين، ونستدل من نص البادسي عندما قال : " و حدثني خالي الحاج يحيى بن حسون⁽³⁾ وكان يرد عليه أنه قدم علينا فقير من خدامه و أنا حاضر بزيب ، فأمر أن يضرب بالسياط ، و قال له خنت الفقراء في الزيب ، فقال له أتوب إلى الله تعالى "⁽⁴⁾، تبين لنا الرواية التي ذكرها البادسي مدى تمكن المتصوف من تطبيق الحد على الخائن في بيع الزيب.

كما نجد في نص آخر ذكره البادسي كيف تاب السارق من جراء فعلته بعدما تم القبض عليه من طرف الشيخ شماس وهو مكفوف البصر، و قال الشيخ للسارق: " سبقناك يا محارب إلى حوز متاعنا فقبل السارق يد الشيخ و قال له أتوب إلى الله تعالى"، فتاب بين يديه و انصرف⁽⁵⁾.

و لقد كان أبناء المجتمع حولهم يعظموهم و يتزلفوهم منزلة التقديس و التكريم⁽⁶⁾، و في حدث كان بين بني وانجن و بني عيسى، فغضب بنو عيسى امرأة من بني وانجن، فتوجه فيها عبد الله الشريف إليهم فوعده بردها ، و لكنهم خالفوا الوعد ، وأمسكوها ثمانية عشر ليلة ، فقال بنو وانجن للشيخ بأنهم لم يعطونا المرأة ، فقال لهم كل ليلة أمسكوها بقتيل فصح ما أحبره بهم عندما قتل منهم ثمانية عشر قتيلاً من بني عيسى⁽⁷⁾.

(1) - البادسي، المصدر نفسه ، ص 58.

(2) - كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي ، مؤسسة شباب الجامعة ،

الإسكندرية، مصر ، 1997م، ص105.

(3) - يحيى ابن حسون : بادسي المولد و المنشأ و الدار، الفاسي المزار ، الحاج الأبر ، الولي الصالح الزاهد ، الورع المتقشف ،

توفي في أواخر القرن السابع ، تلميذ الشيخ أبي الحجاج الأقصوري. ينظر :الكتاني، المصدر السابق، ص108.

(4) - البادسي ، المصدر السابق ، ص115.

(5) - البادسي ، المصدر نفسه، ص118.

(6) - حسين مؤنس، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس ، عصر المرابطين الموحدين ، مكتبة دار الخناجي ، مصر،

د.ت، ص476.

(7) - البادسي، المصدر السابق، ص344.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

المطلب 2: الدور الفكري.

مما لا شك فيه بأن الحياة العلمية في الفترة المرينية اعتبرت من أهم الفترات التي مر بها المغرب الأقصى ، خاصة بعد إنشاء سلاطين الدولة المرينية للمدارس في عديد المدن الكبرى والصغرى ، لكن التعليم لم يقتصر على المدرسة فحسب بل كان للزوايا والرباطات والمساجد باع في هذا المجال خاصة وإنها تمثل أهم المؤسسات التعليمية التي تهم المتصوفة من أجل تعليم الصبيان .

لقد اهتم المتصوفة بشكل واسع في تربية أبنائهم على منهج السلف الصالح لكي يكونوا خير خلف لخير سلف و لذلك أسسوا ما نسميه بالزوايا (1) ، و التي لم يقتصر دورها في التعليم و حسب ، بحيث كانت تجمع المريدين الذين كانوا يخضعون لوصايا وتوجيهات مؤسس الزاوية الذي عادة ما يطلق عليه اسم الشيخ، (2) بل زاد على ذلك من خلال دورها في التعليم الروحي للطريقة الصوفية التي ينتهجها الشيخ المتصوف أو صاحب الزاوية.

ولقد تعددت الزوايا في منطقة الريف ، منها زاوية الشيخ شماس و هي في بلد آخر من الأقصور ، وكان لهذه الزاوية أهمية كبيرة في تعليم الصبيان ، و كانت تقوم على مذهب مالك ، و كانت مقصدا للشيخ و الطلبة من خارج منطقة الريف ، مما يزيد من مكانتها و دورها التعليمي ، بحيث زارها المتصوف يحيى بن حسون و فقيه من المصامدة (3) .

ومما يدل على أن الزاوية كانت ذا أهمية بالنسبة للمريدين قبل أن يكونوا شيوخا ، ما ذكره البادسي نقلا عن ما سمعه من سليمان الورياغلي : " انه لم يكن في خدمة الشيخ محمد اليستيني ، أكثر منهم تقشفا و لا أشهر في خدمة الفقراء و الزاوية " ، أي أن علي بن ماحوخ التوزيني كان خادما للزاوية (4) .

(1) - الزوايا : يطلق عليها في المشرق الربط و الخوانق ، و الخانقات علم على الربط و هو لفض أعجمي، أنظر : محمد ابن

مرزق التلمساني ، المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن ، تح ، ماريا خيسوس بيغيرا ، تق : محمود بوعياذ ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981م ، ص411.

(2) - مزاحم علاوي الشاهري، المرجع السابق، ص188.

(3) - البادسي ، المصدر السابق ، ص147.

(4) - البادسي ، المصدر نفسه، ص114.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

كما عرفت بلاد الريف بزواوية أبي داوود بن مزاحم كإحدى أهم الزوايا في المنطقة،⁽¹⁾ و التعليم لم يكن منحصرا فقط في الزوايا ، بل كان للرباط ذلك دور في التعليم ، و مثال على ذلك رابطة أبي داوود على الساحل ، التي كان لها دور في التبعد زد على ذلك تعليم المريدين بحيث كان أبو داوود يعلم القرآن الكريم لحفيده وللمجموعة من الصبيان⁽²⁾.

كما كانت هنالك زاوية تنسب لسليمان بن يحيى بن ستهم⁽³⁾، حسب ما فهمناه من نص البادسي ، انه عندما مات سليمان رحمه الله تعالى من تلك الأكلة التي كانت في وجهه و بقي بعده الشيخ زكرياء أخوه في زاويته⁽⁴⁾.

هذا النص يجعلنا نتأكد بأن الزاوية تنسب لسليمان بن يحيى ، و دورها يتمثل كسابقها من الزوايا المذكورة ، و هو التعليم و يقول البادسي : "حدثني عنه عبد الكريم ابن ورشون و كان طالبا معلما يقرئ عنده الصبيان"⁽⁵⁾. و بهذا تكون الزوايا في بلاد الريف قد ساهمت بشكل فعال في تعليم الصبيان أمور دينهم ، و هو الإسلام مبتعدين عن الطقوس الخاطئة التي ينتهجها بعض الضالين .

و تعددت أسماء المتصوفة التي ساهمت بشكل كبير في تعليم القرآن ، من بينهم عمر الطنجي بحيث يقول البادسي في ترجمته : "دأب على الصلاة و الصوم و تعليم كتاب الله و عمل الدوم"⁽⁶⁾. هذا الدور الذي قام به المتصوفة و المتمثل في التعليم ، يعكس مستواهم العلمي في أصول الدين ، و هنالك من المتصوفة من ساهم في حركة التأليف، مثل : علي بن محمد المراكشي و الذي ألف كتاب بعنوان (مناقب الأولياء و صفة سلوك الأصفياء) و يقول البادسي أنه نقل منه في كتابه طبقات الأولياء⁽⁷⁾.

(1) - مزاحم علاوي الشاهري، المرجع السابق، ص187.

(2) - البادسي، المصدر السابق ، ص53.

(3) - سليمان بن يحيى: يعرف بابن ستهم ، وهو من قبيلة بني محسن من فخذ بني توزين . ينظر : البادسي ، المصدر نفسه ، ص118.

(4) - البادسي ، المصدر نفسه ، ص 119.

(5) - البادسي ، المصدر نفسه ، ص118.

(6) - البادسي ، المصدر نفسه ، ص 134.

(7) - البادسي ، المصدر نفسه ، ص73.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

واعتبر المسجد كمؤسسة دينية و مركزا لتلقين و تدريس التصوف ، فالشيخ أبو القاسم كان يقرأ التصوف في مسجد المحلة الواقع بمدينة سبتة⁽¹⁾ .

ومن الكتب في مجال التفسير نجد ما ألفه أبي القاسم ، وهذا التأليف كان في شرح أسماء الله الحسنى ، و أن أبي القاسم في شرحه لأسماء الله تعالى و التي دونها في سفر ، كانت قد أخذت من تفسير أبي عبد الجليل للكتاب العزيز ، و هذا التفسير مكون من 60 مجلدا ، وكل حزب ألف سفر في تفسيره⁽²⁾ .

ونبقى في نفس الموضوع و هو التأليف ، فلقد كان بقصر كتامة ، رجل يفسر كتاب الله العزيز أقام عنده أبي القاسم سبعة أيام لكي ينتفع بعلمه ، و يقول في إقامته عنده : " فأول ليلة بت عنده استلقى بعد العشاء الأخيرة و استفتح الكلام في شرح سورة (ق) فأقمت عنده السبع الليالي و هو يتكلم في معنى حرف القاف "⁽³⁾ .

كما أننا نجد في ترجمة أبي يعقوب الشفاف كتاب يخصه بعنوان (المستصفي) ولا نعرف أي مجال من العلوم ينتمي إليه، و لكن ما بين أيدينا يفهم و يستنتج بأنه إما في علم الفروع أو الأصول أو التصوف بحكم أن البادسي قال : " حدثني أبي إسماعيل أن أبي يعقوب ابن الشفاف كان عالما بالفروع و الأصول و كتب التصوف "⁽⁴⁾ .

إن هذه التأليف السالف ذكرها في مختلف العلوم إن دلت على شيء فإنها تدل على أمر واحد ووحيد و هو أن المتصوفة كانوا على علم وفير في العديد من العلوم النقلية جعلتهم يدونونها لكي يستفيد منها خلفهم ويسيروا على منهجهم.

كما أن لهم دور هام في الإجابة على أسئلة من قصدهم في ذلك فمن مكاشفة أبي يعقوب ليوسف المؤذن الذي إجابة على سؤاله الذي أراد طرحه عليه و لكن تمنع منه ذلك بسبب الاستحياء من الشيخ⁽⁵⁾ .

(1)-البادسي ، المصدر نفسه، ص68.

(2) - البادسي، المصدر نفسه، ص 68.

(3) - البادسي،المصدر نفسه،ص68.

(4) - البادسي،المصدر نفسه،ص95.

(5) - البادسي،المصدر نفسه،ص96.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

ولقد برز في بلاد الريف العديد من العلماء ممن كان لهم صيت في تدوين الكتب، ومن بين من اشتهر في الفقه لخدمة المذهب المالكي نجد إسحاق بن مطهر الورياغلي، والذي كان إماماً من أئمة الدين والعلماء المهتمين، وله طرر في المدونة⁽¹⁾.

كما يجب أن نغفل ونهمل الشيخ موسى بن عبد السلام، والذي يقول البادسي فيه: "العالم بمذهب أهل الكلام"، و اقتبض البادسي شعرا في حاله قائلا:

العلم قائده و نعم القائد
و خواطر الأسرار منه رائد
ظهرت له في الكرامات دلائل
و بدت له عند الأنام فوائد⁽²⁾

ومما يدل على مكانة المتصوفة العلمية و التي امتد تأثيرها خارج منطقة الريف المدروسة أن محمد بن عبد الرحمان الملقب بالكرسوطي قصد جزيرة بادس من أجل الانتفاع و الأخذ من علم أبي يعقوب البادسي بحيث حكى عنه وقال: "لقيت الشيخ ولي الله أبا يعقوب البادسي بساحل بادس قاصدا الأخذ عنه والتبرك به، ولم يرني من قبل، وكان بين يديه طالب يقرأ القرآن"⁽³⁾.

نشير كذلك للشيخ يحيى بن الحاج الجعوني⁽⁴⁾، من قبيلة بني يطف، قصده رجل من سبته يعرف بابن العجوز و مكث عنده ليلة و سأله ما معنى قوله تعالى: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا"⁵، فقال له حتى نعلم معاني الفساد، و حينئذ تكلم في المسألة، فقال له الفساد كذا وكذا، فأبطل قوله و بقي يتكلم عن الفساد حتى طلع الفجر.

(1) - أحمد الفقيري، إسحاق بن مطهر الورياغلي وجهوده في خدمة المذهب المالكي من خلال طرره، منشورات المجلس العلمي

لإقليم الناظور، المغرب، د.ت، ص. 12.

(2) - البادسي، المصدر السابق، ص. 135.

(3) - لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخناجي، القاهرة، مصر

1975م، مج1، ص. 133، ينظر: أحمد ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور و الوراقة، الرباط، المغرب، 1973م، ج1، ص. 233.

(4) - يحيى بن الحاج الجعوني: العالم الفذ، كان رحمه الله تعالى لدور الكلام منظمة، و لحق الشريعة معظما، ينظر البادسي، المصدر السابق، ص. 125.

(5) - الآية 22 من سورة الأنبياء.

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

و سئل عن البخيل الذي ذكره الله تعالى في القرآن فقال هو الواقف على الحدود الذي لا توجد فيه سماحة ، إشارة بذلك في إبطال قول من قال أن الذي يدفع الزكاة ليس ببخيل ⁽¹⁾ .
ما يستخلص من النصوص التي ذكرها البادسي معتمدا بالإسناد عن حدثه ، نجد بأن المتصوفة كانوا على علم مختلف ساهموا من خلاله في إثراء الحركة العلمية في المنطقة المشار إليها في كتابه و هي بلاد الريف .

(1) - البادسي ، المصدر السابق ، ص ص 125-126.

خاتمة

خاتمة

وفي الأخير بعد انتهائنا من إنجاز هذا العمل الذي حاولنا من خلاله تشكيل صورة التصوف والمتصوفة في بلاد الريف استنادا لما احتواه كتاب المقصد الشريف للبادسي، ولقد خلصنا إلى جملة من النتائج قد تكون كفيلا للإجابة على التساؤلات التي انطلقنا منها في عملية التقصي وتمثلت النتائج كالتالي:

- لم ينل عبد الحق البادسي اهتمام المؤرخين المتأخرين ، بحيث أهملت أخباره وأجحف في حقه في كتب التراجم ،سواء تعلق الأمر باسمه أو حياته العلمية المتمثلة في تلامذته والشيوخ الذين زاول الدراسة عندهم، فالمصادر التي ترجمت له لم تتعدى بضعة أسطر في كل كتاب ترجم له، بالرغم من أهمية كتابه الذي وصل إلينا، وربما يرجع سبب ذلك لقلّة تأليفه التي لم تزد عن تأليف المقصد الشرف وطبقات الأولياء الذي وصلنا اسمه لا غير ، ويفهم من سكوت المصادر عن توضيح تفاصيل مهمة عن البادسي كون الأخير لم ينتقل في بلاد المغرب الأقصى بشكل واسع مما جعل التقائه بالمؤرخين من عدمه سببا في ذلك.

- عاش البادسي في عصر تميزت مجريات أحداثه بالاختلاف السياسي الذي كان بين الدولة الموحدية المنحلة والمرينيين الذي يرغبون في اعتلاء سدة الحكم ، هذا الاختلاف سرعان ما تحول إلى صراع عسكري محتدم بين الطرفين ، انتهى في الأخير بزوال الدولة الموحدية على حساب الدولة المرينية الناشئة ، ولقد نجم عنه الخراب الذي مس المدن والقرى بالإضافة إلى المحاصيل الزراعية ما تسبب في ظهور فترات من القحط.

- عرفت منطقة بلاد الريف أحداث هامة تمثلت في صراع متعدد الأطراف بين المرينيين و العزفيين والقبائل الهلالية والمرينية ، كما شهدت تكالب النصارى على المنطقة في رغبة منهم على الاستيلاء عليها بمعاونة خارجية متمثلة في مملكة غرناطة.

- كان لسياسة السلاطين المرينيين الأثر البالغ في تحسين الوضع الراهن في الدولة ، خاصة بعد سيطرتهم على المناطق الغنية بثرواتها مما انعكس إيجاباً على المجال الاقتصادي في شتى جوانب بداية بالزراعة مروراً بالصناعة وصولاً إلى التجارة .

-لقد ساهم التنوع في التركيبة البشرية داخل المجتمع من الناحية الإيجابية إلى تعدد الحرف والصناعات كما تنوعت العادات والتقاليد بحسب الانتماء العقدي لكل منهم ، وتباينت طبقات المجتمع حسب الوضع المالي لكل فئة، بيد أن هذا المزيج في المجتمع كان له انعكاس سلبي متمثلاً في القبائل الهلالية التي كثيراً ما تسببت في إثارة الفوضى .

- برز العديد من العلماء في شتى العلوم العقلية أو النقلية ، مما جعل حركة التأليف في القرنين السابع والثامن هجري تشهد توسعاً كبيراً خاصة في الفترة المرينية حينما سعى السلاطين المرينيون إلى تأسيس المؤسسات التعليمية خدمة للعلم ،ومثال ذلك كتاب المقصد الشريف للبادسي الذي يمثل موضوعنا.

-يعتبر منهج البادسي في التأليف مزيجاً بين منهج ابن الزيات في التشوف وأبي نعيم الأصفهاني في الحلية مما جعل منهج البادسي جامعاً بين مناهج كتب المناقب السابقة في كتابه.

-يعتبر كتاب البادسي من أهم المصادر المختصة في كتب التراجم، كونه يترجم لستة وأربعين شخصية برزت في بلاد الريف وهذه الترجمة ساهمت بشكل فعال في تغطية الفجوة التي تركها سابقه من المؤرخين في شأن متصوفة الريف، كما أن البادسي حصر الشخصيات المترجم لهم في رقعة جغرافية محدودة وهو ما يسمى بالتصوف الجغرافي، بل أبعد من ذلك كون الترجمة اهتمت بصلحاء قبيلة على أخرى مما يجعلنا نقول أن ترجمته تمثل تصوف قبلي في إطار تصوف جغرافي، زيادة على ما ذكرناه ساهم الكتاب في توضيح الأوضاع التي كانت سائدة في المغرب الأقصى عموماً وبلاد الريف على وجه الخصوص.

-ترجم البادسي لقلة من الشخصيات لم يكن انتسابها ولا مولدها مقرونا بالريف ، وذلك عندما ترجم للصلحاء الذين وفدوا على الريف أو استقروا به .

-عالج الكتاب موضوع التصوف والذي تطرق إليه البادسي نقلا عن كبار أقطاب التصوف وما قالوه في هذا الشأن، لكنه لم يتوسع فيه بالشكل الكافي بحيث ذكره كفصل ثالث لتبيين المقامات والكرامات التي جاءت كفصل أول.

-احتوى الكتاب على العديد من المصطلحات الصوفية، فمنها ما هي رئيسية لا تخرج عن موضوع التصوف إلا وذكرت، والتي تعددت تعريفاتها بكثرة حسبما يتبعه صاحب الطريقة أو كما يتبين لمؤلف الكتب المختصة في المعاجم ، في حين توجد بعض المصطلحات الصوفية النادرة والتي قلما نجد تعريفا لها، ولقد شرح البادسي بعض المصطلحات الصوفية التي وردت في الكتاب في حين لم يدلي برأيه اتجاه بعضها واكتفى بذكرها فقط.

-إن المتتبع لعلاقة المتصوفة مع السلطة السياسية سيقف على تموجات مختلفة الإيقاع والعمق سواء تعلق الأمر مع الأمراء الموحدين أو مع سلاطين الدولة المرينية ، بحيث اتخذت شكل التنافر وشكل الود والاحتواء، وهذا أن دل على شيء فإنه يرجع إلى كيفية تعامل السلطة السياسية مع المتصوفة ، إلا أن السمة البارزة في طبيعة العلاقة بين الطرفين تميزت بالتقارب على حساب التنافر.

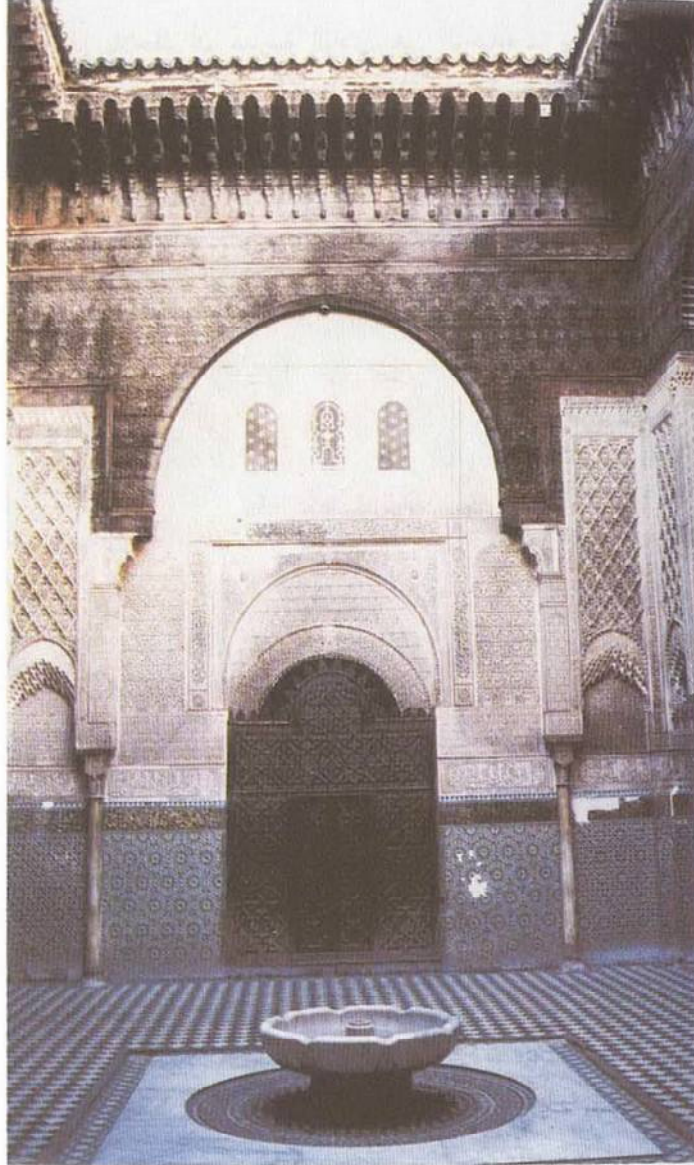
- قام المتصوفة بالدور الجهادي ضد النصارى وذلك بمحاربتهم في الأندلس و الدفاع عن سواحل المغرب الأقصى استنادا على الكرامة الصوفية، وذلك لما اقتضته الضرورة في غياب الحماية المرينية في فترات متعاقبة ، كما ساهموا في نشر الأمن في المجتمع من خلال التصدي للهجمات الهلالية.

-وكان حضور الصوفية في المجتمع واضحا وجليا وذلك من خلال دورهم في المجتمع المتعدد المهام ، بحيث احتكت بهم جميع شرائح المجتمع معتبرين إياهم ملاذا يحقق لهم متطلباتهم في الحياة بعدما عجزت سلطة الدولة في ذلك.

- تتميز المتصوفة كطبقة لها إسهامها الفكرية ويتجلى ذلك من خلال تأليفهم للكتب في العلوم النقلية، كما كان دورهم في الجانب الثقافي والديني لا يستهان به بحيث اتخذوا من الزوايا والرباطات والمساجد مراكز من أجل تعليم الصبيان، مما يشير إلى استيعاب الصوفية لأهمية العلم كرد على منتقديهم ممن يرونهم طبقة جامدة في المجتمع .

اللاحق

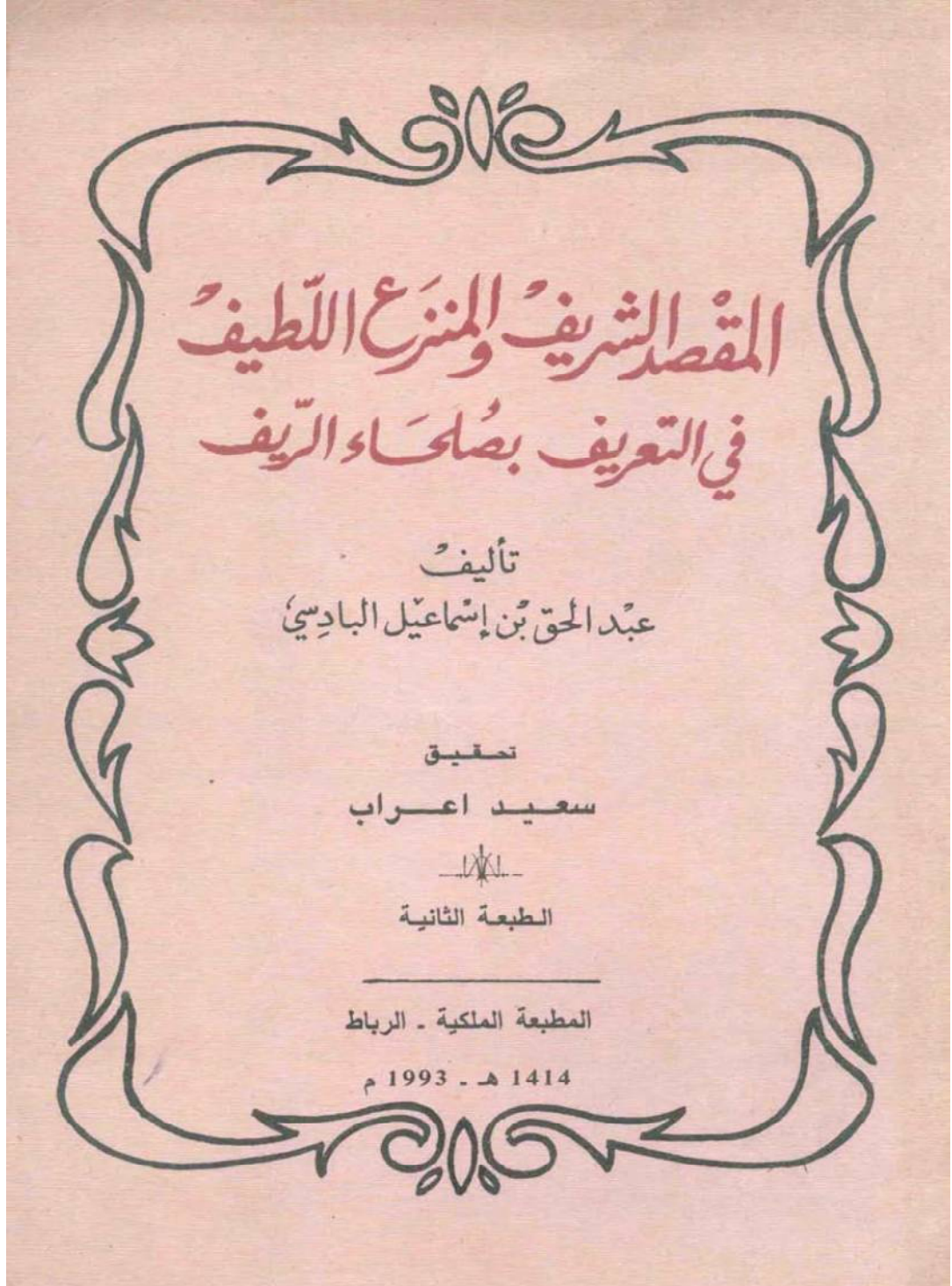
ملحق رقم 1: بهو مدرسة العطارين. (1)



بهو مدرسة العطارين بفاس

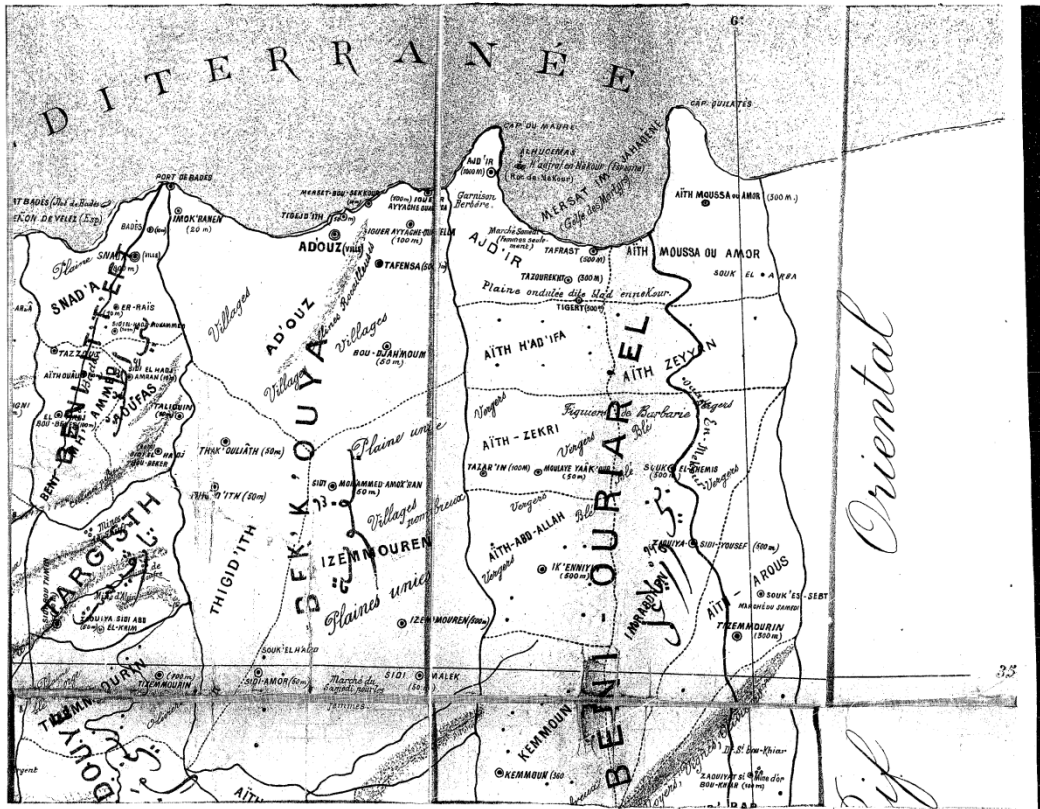
(1)-محمد المنوني، المراجع السابق، ص 243.

الملحق رقم 2: واجهة كتاب البادسي⁽¹⁾



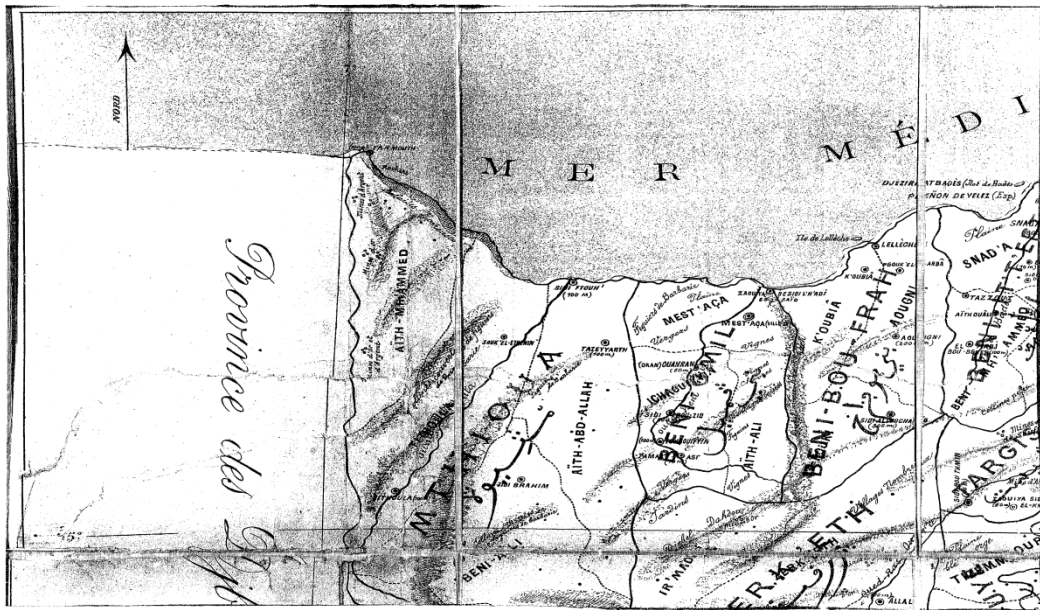
(1) - البادسي، المصدر السابق، واجهة الكتاب.

الملحق رقم 3: الجزء الشرقي لبلاد الريف (1)



(1) - Auguste Moulieras, le Maroc inconnu, dépôt à paris à la librairie Coloniale et Africaine, Joseph André, rue Bonaparte, 27, Décembre 1895, p, 201.

الملحق رقم 4: الجزء الغربي لبلاد الريف (1)



(1) - Auguste Moulieras, références precedente, p 202.

قائمة المصادر والامام

القرآن الكريم

المصادر:

1. ابن أبي دينار القيرواني أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم، (1110هـ-1699م)، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، ط1، 1286هـ.
2. ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، بورسعيد مصر، 2001م.
3. ابن الجيلاني عبد القادر، (561هـ)، بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته في الدولة المرينية من مدارس وأستاذ وطبيب، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1984م.
4. ابن القاضي أحمد بن محمد، (960هـ-1025هـ)، درة المجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، مصر، د.ت، ج1 (—)، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، المغرب، 1973م، ج1.
5. ابن المناوي عبد الرؤوف، (952هـ-1031هـ)، التوقيف على مهمات التعريف، تح: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1990م.
6. ابن حجر العسقلاني أبي الفضل أحمد بن علي، (773هـ-876هـ)، الزهر النظر في حال الخضر، تح: صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ط2، 2004م.
7. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، (ت808هـ/1405م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م، ج1، ج6، ج7.
- (—)، شفاء السائل و تهذيب المسائل، تح: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1996م.

8. ابن خلدون، أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر محمد بن محمد بن الحسن ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، طباعة، بيير، فونطانا، الجزائر، 1903م.
9. ابن خليكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت608-681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت لبنان، 1970م ، مج1، مج3.
10. ابن سعيد المغربي علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك ، المغرب في حلى المغرب، تح :شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت، ط4.
11. ابن عجيبة عبد الله أحمد، (ت1224هـ)، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، تق و تح : عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، (د.ت).
12. ابن عذارى المراكشي أبو العباس احمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (كان حيا سنة 712/1312م)، تح : إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م.
13. ابن عيشون أبي عبد الله محمد، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تح: زهراء النظام، منشورات كلية الاداب، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، 1997م.
14. ابن غازي العثماني محمد بن أحمد بن محمد بن محمد ، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، ط2، 1988م
15. ابن فرحون إبراهيم بن نور الدين ، (ت799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م.
16. ابن مخلوف محمد بن محمد بن عمر بن قاسم ، (ت1360هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تع : عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م ، ج1.
17. أبي زرع الفاسي علي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1972م.
- (—)، الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية، دن، د.ط.

18. أبي عبيد البكري عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، (ت 487هـ)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، د.ت .
- (—)، المسالك والممالك، تح : جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ج2.
19. الأدفوي كمال الدين أبي الفضل جعفر بن ثعلب، (685هـ-748هـ)، الموفي بمعرفة التصوف والصوفي، تح : محمد عيسى صالحية، مكتبة دار العروبة، الكويت، 1988م.
20. الأصفهاني أبي نعيم احمد بن عبد الله ، (ت 430هـ) ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1996 م ، مج 8.
21. الأنصاري السبتي محمد بن القاسم ،اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الأخبار، تح:عبد الوهاب بن منصور، د.د.ن، د.د.ط، الرباط، المغرب، 1983م
22. البادسي عبد الحق بن إسماعيل (كان حيا سنة 722هـ)، المقصد الشريف والمترع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تح:سعيد اعراب، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، ط2، 1993م .
23. ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر ، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1997م.
24. التنبكي أحمد بابا، (963هـ-1036م)، نيل الابتهاج بتطريز الديقاج، تق :عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، د.ت، ج1.
25. الجرجاني علي بن محمد ،(816/1413م)، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة،
26. الجزنائي علي ، جنى زهرة زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح :عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، ط2، 1991م.

27. الجيلاي عبد القادر بن أبي صالح ، (ت 561هـ)، الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية وضع حواشيه صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1997م
28. الجيلاي عبد القادر بن أبي صالح ، بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته في الدولة المرينية من مدارس وأستاذ وطبيب، تح : عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط، المغرب، 1984م
29. الذهبي شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان ، (ت 748هـ/1374م)، سير أعلام النبلاء تح: بشار عواد معروف، محي هلال السرحان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان، ط 11 ، 1996 م ، ج 21
30. الرازي يحيى بن معاذ ، (258هـ-876هـ)، جواهر التصوف ، تح: سعيد هارون، عاشور، مكتبة الاداب، القاهرة ، مصر، 2002م
31. الرفاعي أحمد ، حكم السيد الجليل أحمد الرفاعي، تح: عبد الغني نكه مي، د.د.ن، د.ط.
32. الزركشي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم ، (من اعلام القرن 9هـ)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح : محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م.
33. السراج الطوسي أبو نصر محمد بن أحمد ، (ت 378هـ/989م)، اللمع في التصوف، تح: عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، و مكتبة المثني، بغداد، العراق، 1960م.
34. السكندري ابن عطاء الله ، مفتاح الفلاح في تهذيب النفوس، مطبعة العادة، مصر، د.ت.
35. السهروردي شهاب الدين أبي حفص عمر ، (539هـ-632هـ)، عوارف المعارف، تح: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة ، مصر (د.ت)، ج.2.

36. الصنعاني محمد بن إسماعيل، (ت1099-1182هـ)، الأنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطف، تح: عبد الرزاق بن عبد المحسن بن حمد العباد البدر، دار بن عفان بالسعودية، 1997م
37. الضبي أحمد بن يحيى بن حمد بن عميرة، (ت1203/599هـ)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب لبنان، بيروت، 1989م، ج2
38. الغريبي أبو العباس بن أحمد بن أحمد، (ت644-714هـ)، الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببحاية، تح: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط1972، 2م.
39. القشيري أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن، (ت376-465هـ)، الرسالة القشيرية في علم التصوف، تح: معروف مصطفى زراق، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 2001م
40. الكاشاني عبد الرزاق، (ت730هـ)، معجم اصطلاحات الصوفية، تح وتق و تع: عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، مصر، 1992م.
41. الكتاني عبد الكبير بن هاشم (ت1263-1350هـ)، زهر الآس في بيوتات أهل فاس، تح: علي بن المنتصر الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000م، ج1.
42. الكتاني محمد بن جعفر بن إدريس، (ت1274-1345هـ)، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، د.ت، ج3.
43. الكلاباذي أبو بكر محمد بن إسحاق، (ت380/990م)، التعرف لمذهب أهل التصوف، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمي، بيروت، لبنان، 1993م
44. لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخناجي، القاهرة، مصر، 1975م، مج1.

45. المراكشي عبد الواحد بن علي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد زينهم محمد عزب دار الفرجاني، د.ب.ن ، د.ت.
46. المقري التلمساني أحمد بن محمد، (ت1041هـ/1631م)، نفتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1983م، مج7.
47. مؤلف مجهول ، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، (من أعلام القرن 6 هـ)، تع : سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، د.ت.
48. مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، (من أهل القرن 8 هـ)، تح : سهيل زكار عبد القادر، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1979م.
49. النبھاني المالقي أبو الحسن ابن عبد الله ابن الحسن ، (كان حيا سنة 793هـ)، تاريخ قضاة الأندلس، تح: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 5 ، 1983م
50. النيسابوري أبي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن الحسين ، (253هـ-412هـ/941م-1031م)، المقدمة في التصوف وحقائقه، تح :يوسف زيدان، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، د.ت.
51. الوزان الحسن بن محمد (888هـ-957هـ)، وصف إفريقيا، تر : محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 2، 1983م، ج 1 .
52. ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله (ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان 1977م، مج 1، مج4، مج 5.

53. التميمي أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم ، المستفاد في مناقب العباء، بمدينة فاس و مايلها من البلاد، تح: محمد الشريف، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، مطبعة طوب بريس، الرباط، المغرب، 2002 م

المراجع:

- 1)الناصرى أحمد بن خالد،(ت1315ه/1896م)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح:جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، د.ت، الدار البيضاء،المغرب ج 3.
- 2)مؤنس حسين ،معالم تاريخ المغرب والأندلس،دار الرشاد للنشر،عربية للطبع،القاهرة،مصر،1992م.
- 3)مؤنس حسين ، موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996م، ج 2.
- 4)المنونى محمد ، ورفات عن حضارة المرينيين،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،المغرب، ط 3، 2000م.
- 5)مقديش محمود ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح:علي الزوارى، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامى،لبنان، 1988م
- 6)محمود عبد الحليم ، قضية التصوف المدرسة الشاذلية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 3 د.ت.
- 7)الكيلاىى عبد الرزاق ، الشيخ عبد القادر الجيلانى الإمام الزاهد القدوة، دار القلم، دمشق،سوريا، 1994 م.
- 8)كنون عبد الله ، النبوغ المغربى فى الأدب العربى، د.ن، د. ت، ط2، ج 1.
- 9) كعواس الميلود ، إمارة نكور ودورها فى خدمة المذهب المالكي، منشورات المجلس العلمى المحلى لإقليم الناظور، مطبعة القبس، الناظور، المغرب، 2016م
- 10) كحالة عمر رضا ، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت،لبنان، 1993م، ج2.

- 11) الفقيري أحمد، إسحاق بن مطهر الورياغلي وجهوده في خدمة المذهب المالكي من خلال طرره، منشورات المجلس العلمي لإقليم الناظور، المغرب، د.ت، ص. 12.
- 12) فتحة محمد ، النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ المغرب الإسلامي (من القرن 6- 12/9م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، 1999م.
- 13) الغلبزوري توفيق ، المنار المنيف في التعريف بعلماء الريف، فهرسة مصطفى أزيراح، منشورات المجلس العلمي بالحسيمة، المغرب، د.ت .
- 14) العجم رفيق ، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان ، 1999 م .
- 15) العتيبي خالد بن ناصر ، الطريقة الشاذلية عرض ونقد، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، 2011م.
- 16) الطيبي أمين توفيق ، دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية ، منشورات الدعوة الإسلامية العالمية ، طبع بدار القلم ، تونس ، 1989م.
- 17) الصعيدي عبد الفتاح ، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ج.3.
- 18) شهاب أحمد نهلة، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009م.
- 19) الشرقاوي حسن ، معجم ألفاظ الصوفية، مؤسسة مختار، القاهرة، مصر، 1987م.
- 20) شحاته ربه عطا علي محمد ، اليهود في المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1999م.
- 21) الشاهري مزاحم علاوي ، الحضارة العربية الإسلامية في المغرب العصر المريني، د.ن ، د.ط.

- (22) السامرائي خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2000م.
- (23) زغلول سعد ، تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د.ت ، ج2.
- (24) الزركلي خير الدين ،الأعلام، دار الملايين ،بيروت لبنان، ط2000، 15م، ج3.
- (25) الزركلي خير الدين ، الأعلام، تع : زهير ظاظا، فهرسة محمد وحكيم نزار، دار الأرقم، بيروت، لبنان، د.ت ، مج 1.
- (26) الذهبي نفيسة ، الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية — بالرباط، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1997م
- (27) حمدي أيمن ، قاموس المصطلحات الصوفية ،دار قباء، القاهرة، مصر، 2000 م .
- (28) حلمي عبد الوهاب محمد ، ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، تق: رضوان السيد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2009م.
- (29) حساني مختار ، تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م .
- (30) الحريري عيسى ، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم، الكويت، ط2، د.ت.
- (31) حركات إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء ، المغرب ، 2000م، ج 2.
- (32) الجوهرى عبد الحميد ، التصوف مشكاة الحيران، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب . د.ت .
- (33) التمساني محمد بن محمد ، سيدي الخضر رأس الأولياء ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، 1971م .
- (34) بولطيف لخضر ، فقهاء المالكية، والتجربة السياسية الموحدة في المغرب الإسلامي مع دار الصديق، الجزائر، 2015م.

- (35) البوعياشي أحمد ، حرب الريف التحريرية ومراحل النضال، نشر عبد السلام جسوس وسوشريس، طنجة، 1974م، ج1، ص168.
- (36) بوجندار الرباطي محمد بن مصطفى ، الاغتباط بتراجم أعلام الرباط، تح: أحمد بن عبد الكريم نجيب، دار المذهب ، المغرب، ط2014، ص108.
- (37) بوتشيش إبراهيم القادري ، جوانب من التاريخ الاجتماعي للبلدان المتوسطة خلال العصر الوسيط ، ندوات كلية الآداب و العلوم الإنسانية مكناس ، المغرب ، 1991م
- (38) بن منصور عبد الوهاب ، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1968 م، ج1.
- (39) بن شقرون محمد بن أحمد ، مظاهر الثقافة المغربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985م.
- (40) بن شاوش محمد بن رمضان ، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان مطبوعات الجامعية، 2011م، ج1.
- (41) بن تاويت محمد ، الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1983م، ج2.
- (42) بن بريكة محمد ، موسوعة الطرق الصوفية، متون التصوف الإسلامي ، دار الحكمة، الجزائر، 2009م، ج2.
- (43) بشير عبد الرحمان ، اليهود في المغرب العربي (22هـ-462هـ / 642م-1070م) ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2001م .
- (44) بدير عون فيصل ، التصوف الإسلامي الطريق و الرجال، دار الثقافة، القاهرة، مصر، د.ت.
- (45) أبو مصطفى كمال ، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، مصر، 1997م

المراجع العربية:

- 1) بروفنصال ليفي ، مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلافي، دار المغرب، الرباط، 1977م.
- 2) كرنجال مارمول ، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، دار النشر المعرفة، الرباط، المغرب، 1989م، ج 2.
- 3) مارسيه جورج ، بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي، تر: محمود عبد الصمد هيكل، مر: مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة الانتصار، الإسكندرية، مصر، 1991م.
- 4) بريان دوشاتو ، آخر بني سراج، طبعة الميناء، مصر، 1925م.
- 5) نهلو تورنو روجي ، فاس في عصر بني مرين، تر: نيقولا زيادة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، 1967م.
- 6) كيريلي أنخيلو ، تر وتح وتق: عبد المجيد عزوزي، دار أبي رقرق، د.ب.ن، ط2، 2017م.

المراجع بالأجنبية:

- 1) Auguste Moulieras, le Maroc inconnu, dépôt à paris à la à libraire Coloniale et Africaine, Joseph André, rue Bonaparte, 27, Décembre . 1895.

المنتقيات:

- 1) حجي محمد ، مقال بعنوان داي مركز ثقافي في تادلا، تادلا التاريخ المجال الثقافة، المتقى العلمي لمنطقة تادلا، 15، 16، 17 افريل 2017 ، المغرب
- 2) ابن حمادة سعيد ، مقال بعنوان منهجية عبد الحق البادسي في التاريخ للحياة بالريف خلال القرنين 7 و8هـ، ضمن بحوث الندوتين الأولى والثانية الحركة العلمية بالريف أصولها وامتدادها، 2014-2015م

الفضيس

كلمة شكر

اهداء

مقدمة أ

الفصل الأول: التعريف بالبادسي والعصر الذي عاش فيه.

المبحث الأول التعريف بالبادسي. 09

المطلب 1: مولده ونسبه. 09

المطلب 2: مشايخه وتأليفه. 09

المطلب 3: وفاته. 11

المبحث الثاني: عصر البادسي الذي عاش فيه. 12

المطلب 1: الأوضاع السياسية والعسكرية. 12

المطلب 2: الحياة العلمية. 18

المطلب 3: الأوضاع الاقتصادية. 21

المطلب 4: الحياة الاجتماعية. 25

الفصل الثاني: التصوف ومصطلحاته من خلال دراسة كتاب البادسي.

المبحث الأول: دراسة كتاب البادسي. 32

المطلب 1: وصف الكتاب. 32

المطلب 2: مضمون الكتاب. 33

المطلب 3: منهج البادسي في الكتابة. 39

المطلب 4: القيمة العلمية للكتاب. 41

المبحث الثاني: التصوف ومصطلحاته. 43

المطلب 1: التصوف حسب البادسي. 43

المطلب 2: المصطلحات الصوفية الواردة في الكتاب. 48

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الاجتماعي والفكري.

المبحث الأول: علاقة المتصوفة بالسلطة ودورهم الجهادي. 60

المطلب 1: علاقة المتصوفة بالسلطة. 60

64	المطلب 2: الدور الجهادي للمتصوفة.....
70	المبحث الثاني : الدور الاجتماعي والفكري.....
70	المطلب 1: الدور الاجتماعي.....
76	المطلب 2: الدور الفكري.....
82	خاتمة.....
87	الملاحق.....
92	قائمة المصادر والمراجع.....
104	فهرس الموضوعات.....